16 em Année No. 803

Lundi — 22 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

هل نجح خادم اليهود ؟

للأســـتاذ نقولا الحداد

لم ينجح ترومان ولم يفشل دبوى . وإنما نجح الحزب الديموقراطى وفشـل الحزب الجمهورى ؛ لأن أكثرية الشعب الأمريكى الساحقة هى ديموقراطية المبدأ . إن المبدأ الجمهورى يميل إلى تعضيد الرأسمالية ، وجميع أعوانه ماليون وممن يلوذون بالماليين وأصحاب الأعمال الـكبرى المساهمون والمضاربون وكل من يشتغل بتثمير المال . وأما المبدأ الديموقراطى فيعضد العمل وأعوانه الزراع والصناع وأهل الحرف والمهن والصناعات والمستخدمون ومتوسطو الحال . وهم ولا شـك السواد الأعظم من الشعب . ومع ذلك صوّت كثيرون منهم مع دبوى اعتباراً لشخصيته لا لمبادئه . ولـكنهم لم يكفوا الترجيح كفته .

ولطالما غرس الصهيونيون الأفاكون فى عقول الناس أن الرعاية الأمريكية فى أيديهم وأنهم إذا راعوا ترومان كان ترومان، وإذا راعوا غيره كان غيره ... ولعل ترومان كان يظن هذا أيضاً . ولـكن لما حميت معركة الانتخابات انحاز يهود ولاية نيويورك (وتعدادها ١٨ مليوناً ويهودها ثلاثة ملايين وهم نصف يهود أمريكا كلها) انحازوا إلى دبوى لأن مصالحهم المالية تكون مضمونة فى عهد رياسة دبوى ولا تهمهم فلسطين عشر معشار ما تهمهم ماليتهم . وكان رجال العلم والسياسـة والأعمال والمال والاقتصاد يراهنون مئة إلى واحد مع دبوى ليقينهم أن دبوى رجل الساعة . وهو أكفأ ألف مرة من ترومان . ولذلك صوت معه كثيرون من الديمقراطيين (من خصوم حزبه) . ومع ذلك خاب وخسروا الرهان . وقد نسى هؤلاء المراهنون عواطف الأمة . الأمة لا تسى وراء العلم والقدرة السياسية ونحوهما ، وإنما تسى لمن يضمن لها مصلحة الفرد أولا ومصلحة الجمهور أخيراً . ولذلك انتخبت ترومان لا لأنه ترومان بل لأنه كفيل بتنفيذ المبادىء الديمقراطية . فليس ترومان هو الذى انتصر ، وإنما الديمقراطية هى التى انتصرت . وستظل تنتصر ما دام الحزب الجمهورى يناصر المال وأصحاب المرافق وأسباب الأرزاق يتحكمون فيه .

هذه سنة الاجتماع الأخيرة . والحزب الجمهورى لن تقوم له قائمة بعد الآن إلا إذا نقّح مبادئه وعدّلها كثيراً بحيث تستهوى طبقة المتعيشين بكدهم وكدحهم .

كان الحزب الجمهورى متفوقاً على عهـد تيودور روزفلت السابق الذى تولى رئاسة الجمهورية مرتين ، وكان فى سياسته يخالف مبادىء حزبه أحياناً ليمالىء الحزب الديمقراطى . وكان كثيرون من الرؤساء السـابقين جمهوريين لأن الصولة كانت للماليين وأرباب الأعمال الـكبرى أيام كانت سـياسة الولايات المتحدة الأمريكية عرضة للرياح السياسية الخارجية ويخشى عليها منها يوم كانت الولايات المتحدة لا تزال الثالثة بين الدول الـكبرى فكانت تحتاج إلى قيادة رأسماليين وأرباب أعمال —

قيادة متينة قوية . ولكن لما خرجت من الحرب الكبرى الأولى وأسطولها الثانى شرعت تستقل فى كيانها وتعلى فى بنيانها . وما شبت الحرب الثانية الأخيرة حتى صار أسطولها البحرى الأول وأسطولها الجوى الأول وقوتها البرية ترعب . حينئذ صارت تطمح إلى الاستعمار التجارى والبترولى . فلم تعد تستند إلى حزب جمهورى رأس مالى بل إلى حزب شعبى عملى صناعى زراعى . فقويت فيها الديمقراطية . فمن يكن مرشح الحزب الديمقراطى يحرز قصب السبق ولو كان مغفلا .

ولعل القارىء يعجب ويتساءل : لماذا صوت يهود ولاية نيويورك لديوى وهم نصف يهود أمريكا ؟ والجواب أن اليهود رأسماليون ، فيهرعون إلى حيث تكون خيانة المال . فصوتوا مع الجمهوريين لأن الضمانة هناك أشد ، وما كان تشدق الصهيونيين بأن ترومان يسترضيهم لكى يصوتوا له إلا أفكاً وبهتاناً ، ودعاية فى الشرق فقط .

ولا ريب أن ترومان كان يراعى خواطرهم إلى حد ما لكى يكسبهم فى معركة الانتخابات ؛ ولكنه لم يحتج إليهم وعنده معظم الشعب . وأخيراً عرف نفاقهم حين صوتوا لديوى . فهل يا ترى يبقى مغفلا يخدم أغراضهم كما يزعمون ، أم أنه يشيح بوجهه عنهم بعد الآن وينظر إلى مصلحة بلاده قبل مصلحتهم وأمامه أربع سنين هو فيها غنى عن اليهود ، على فرض أنهم ينفعونه بشىء ؟

مع كل ذلك لم يخدمهم الخدمة الجلى كما كانوا يتوقعون . كانوا ينتظرون أن يجهز لهم قوة عسكرية كافية لتنفيذ مشروع التقسيم . ولو فعل لتم التقسيم فعلا فى يوم واحد . ولكن لم يشأ أن يفعل ولم يستطع أن يفعل لأن الكونجرس لا يوافقه على أن يرسل أبناءه الشبان الأمريكان لكى ينشئوا دولة لبنى إسرائيل

أما الآن فلا ندرى هل يصر ترومان على أن يحول دون مشروع العقوبات لناقضى الهدنة وهو يعلم أن اليهود لا العرب كانوا ولا يزالون ينقضونها . فكان يود أن يتقدم من العقوبات .

على أن الأمر المضحك فى هذه الهدنة أنها تنقض كل ساعة ومجلس الأمن يتهدد كل ساعة ناقضيها بالعقوبات . وإلى الآن لم نر عقوبة وقعت على ناقض هدنة .

وأغرب من كل غريب أن مندوب أمريكا فى مجلس الأمن يقترح تأليف لجنة لبحث إجراءات تنفيذ الهدنة ، حتى إذا خالفها أحد الطرفين كان على اللجنة أن تبادر إلى دراسة ما تراه إجراءات تأديبية لتوقعها على المخالف . ووجه الغرابة هو وضع الحصان وراء العربة لا أمامها ؛ لأن العادة فى كل تشريع أن يكون إعلان العقوبة قبل ارتكاب الجناية . وهنا لا يعلن نص العقوبة إلا بعد ارتكاب الجناية أى بعد أن يعلم أى الفريقين نقض الهدنة .

والهدنة تنقض كل يوم ويبلغ خبرها إلى مجلس الأمن ولا تكون نتيجة البلاغ إلا تكرار دعوة مجلس الأمن العرب واليهود إلى احترام الهدنة ، وهو يعلم أن اليهود لا العرب هم الذين ينقضونها . وإلى الآن لم يعترف مجلس الأمن بأن الهدنة غير محترمة . فما معنى إصدار أوامر لا تحترم يوماً بعد يوم ؟ والله لو كان صبيان يتولون الأمر لربأوا بأنفسهم أن يكرروا إصدار هذه الأوامر السخيفة .

وحتام نذكر الهدنة بالخير ولم نعرف الهدنة ساعة واحدة . ما نحن إلا فى حرب . فعلى جامعتنا العربية إن كانت تحسن عملا أن تنعى الهدنة لمجلس الأمن وتبلغه أننا فى حرب ما دام اليهود يهجمون ونحن مضطرون أن ندافع — حتام تمثل هذه المهزلة ؟

والمهزلة الكبرى أن مجلس الأمن « الموقر » لا يريد أن يلتفت إلى مسألة اللاجئين الذين أشفوا على الهلاك كأن أمرهم لا يعنيه وكأن نكبتهم ليست من نتائج القضية التى ينظر فيها أو يتولى أمرها أو كأنها ليست من مخلات الأمن التى هى فى دائرة اختصاصه .

اليهود الملاعين طغوا وبغوا وقتّلوا ونكلوا وأخرجوا الناس من بيوتهم إلى العراء ، ومجلس الأمن الموكل بالأمن يترك أمر المشردين لأهل البر والإحسان .

فما هو الأمن الموكل به مجلس الأمن ؟

إن أقذار اليهود واقعة على رأس مجلس الأمن وقد تورط كل بدنه فيها . ومع ذلك لا يزال يزعم أنه يحافظ على الأمن . أى أمن هذا يا هؤلاء ؟ أليس لكم عيون تبصر وآذان تسمع وقلوب تفقه ؟ ألا تخجلون أن يركبكم الصهيونيون وينخسوكم بالمناخيس ؟

إن كان فى عروقكم دم يجرى بالنخوة والمروءة فحصّلوا من يهود العالم المتضامنين الأموال التى نهبها الصهيونيون من العرب وأنفقوها على اللاجئين والمشردين ، وإلا فمجلس الأمن وهيئة الأمم لليهود شركاء ، وهم جميعاً فى العدوان والطغيان سواء .

نقولا الحداد

قصة شاعر (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

لقد وعدت الأستاذ أنور العطار بهذه المقدمة منذ خمس وعشرين سنة من يوم أسمعني أول مقطوعة له . قلت له ستصير يا أنور شاعراً كبيراً وسأصير أنا كاتباً وأكتب مقدمة ديوانك

ولقد صار أنور شاعراً كبيراً فهل صرت أنا كاتباً ؟ إنني كتبت إلى اليوم أكثر من خمسة آلاف صفحة ، أنشأتها إنشاء ولم أجمعها جمعاً ، ونقلتها عن قلبي لم أنقلها عن الكتب ، ولكني لم أصر كاتباً . لأنني أعجز الليلة عن إنشاء أحب الفصول إلي ، وأوجبها علي : هذه المقدمة التي وعدت بها أنور من خمس وعشرين سنة !

لقد قعدت لأكتبها ، فأحسست أنها قد عادت لي أيامي الماضي التي افتقدتها وأيقنت أنها لن تعود ، ورفع لي الستار عن عالم كله حب وطهر وجمال . عالم عشت فيه أنا وأنور أمداً ، ثم أضعناه وضللنا طريقه . عالم كان حقيقة فصار (مع الأسف) ذكرى ، وكان واقعاً فغدا خيالا ، وكنا فيه فصرنا غرباء عنه ، لا نراه إلا بقلوبنا من خلال ضباب الماضي .

فتحت علي أبواب الذكريات ، وكر علي هذا الماضي ، كأنما هو (فلم) حافل بكل جميل ونبيل ، فلم طويل عرض في لحظات وقد تصرمت في تأليفه وإخراجه ثلاثون سنة ، فلم كنا نحن أبطاله وكنا نحن ممثليه ، فصرنا نرى فصوله تعرض علينا من بعيد :

رأيت الفصل الأول من هذا الفلم وكان في المدرسة الثانوية الوحدة في دمشق (مكتب عنبر) في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما أبصرت أنور العطار أول مرة . أبصرت تلميذاً رقيق العود ، دقيق الملامح ، أنيق المظهر ، من غير أن يبدو عليه أثر الغنى ، شارد النظرات ، يمر في ظلال الجدران خفيف الوطء ، حالم الخطى ، كأنه طيف يمر على خيال نائم ، يعتزل التلاميذ لا يكاد يلقاهم ، ولا يلعب لعبهم ، فسألت عنه من يعرفه ، فقال : هذا تلميذ شاعر اسمه أنور العطار . وما كنت يومئذ أومن بغير شعراء الجاهلية والشعراء الاسلاميين ولا أرضى لنفسي أن أقرأ شعر المتنبي ولا يرضى ذلك لي مشايخي ، لئلا تفسد (قالوا) ملكتي ، ولم أسمع بعد باسم شوقي ولا باسم المنفلوطي ، فما أبهت لهذا الشاعر الذي اسمه أنور العطار ، ولا طلبت صحبته ، ولا ظننت أنه سيكون بيني وبينه اتصال ، حتى كانت تلك المصادفة السعدة التي كان لها في حياتي وفي حياته أبلغ الأثر :

كانت هذه المصادفة على باب (المدرسة البادرائية) في ليلة من ليالي رمضان ، أيام كان رمضان يزور دمشق حقاً ، وكانت تدري دمشق بزيارته وتحتفل بلقياه ، وكنت خارجاً منها فواجهت أنور داخلا إليها ، فوقف يحييني ووقفت أحييه ، وكلمني وكلمته ، واتصل الحديث ونحن قيام تحت مصباح الشارع ، حتى جاء ذكر شوقي ، فأنشدني قصيدة له ، قرأها بصوت عذب حالم حنون ، فأحسست أنه كان يعي بكل كلمة من القصيدة حبة القلب مني ، فأحببته . وأنت تلقى المرء أول مرة فتحس بأنك تحبه أو أنك تكرهه ، لا تدري لحبك ولا لكرهك سبباً . سر ركبه الله في نفس الانسان .

وفهمت منه أنه يسكن في (السمانة) وكنت أقيم في (الديمجية) فاصطحبنا ، وذكرت له موت والدي في تلك الأيام ، فطفق يحدثني عن موت والده وهو صغير ، واجتزنا سوق العمارة ، والعمارة في دمشق كحي الحسين والأزهر في مصر ، إن ضاع منك رمضان ببهائه وجلاله وجدته في الحسين أو في العمارة ، وإن خفيت عنك معالم حسنه في كل مكان وجدتها في العمارة أو في الحسين ، ولكن ما أدركت تلك الليلة شيئاً من هذا البهاء : لقد كان ما أسمع من أنور أبهى عندي مما أرى ، وجعلنا طريقنا على (الدحداح) ، وهنالك ، على قبر أبيه وعلى قبر أبي ، ولدت هذه الصداقة التي أثمرت شعراً ونثراً وحباً وإخلاصاً ، وكانت من أسعد الصداقات . وهنالك في مدينة الأموات ، عاشت هذه المودة التي لا يستطيع أن يعدو عليها الموت ، لأن الأدب أكسبها الخلود

وكرت فصول الفلم تتتالى ، فرأيتني غدوت صديقه وغدا

(*) مقدمة (ديوان أنور العطار) الذي يصدر في أوائل ديسمبر ١٩٤٨

صديق ، يبثني شكاته وأبثه شكاتي ، ويجد في حياتي مشابه من حياته وأجد في حياته مشابه من حياتي ، قد ألف بيننا الأدب وألف بيننا اليتم ، وإننا كنا مستورين ، على حالة هي فوق الفقر ودون الغنى .. حتى كأني هو وكأنه أنا .

وصار يسمعني شعره ، فأجد بواكير شاعر متمكن ، لا محاولات طالب مبتدئ ، وأجد في هذه (البواكير) قوة في التعبير ، وجدة في التفكير ، وأبياتاً سائرة ، وصوراً رائعة ، فهو يقول في الدموع :

عجبي من لغة غامضة   تطرب الناس على شتى لغاها

وهو بيت نبيل في مبناه وفي معناه

ويقول في وصف العمر (عمر البائس) :

والعمر يحكي مستغيثاً علا   أنينه ثم تولى صداه

وطفق أنور يرسل قطع الشعر ، شعر القلب ، تترا . يستقيه من معين صافٍ لا ينضب ، فتتناقله الألسنة ، وتعنى به الصحف ، وتستقبل فيه العربية شاعراً جديداً ملهماً ، ويفتح له أستاذنا محمد كرد علي أبواب المجمع ، فيقيم له ولإخوانه الثلاثة حفلة تكريمية ينشد فيها أنور قصيدة من الشعر الجيد ، عنوانها (الشاعر) ، يحسن اختيار موضوعها وألفاظها ومعانيها ، وتشق له هذه القصيدة الطريق إلى مجلة (الزهراء) التي كان يصدرها في مصر خالي محب الدين الخطيب ، والتي كانت أرقى مجلة أدبية في تلك الأيام ، وكنت أود أن ينشرها الشاعر في هذا الديوان (الذي لم يضم إلا الأقل من شعره) ليعرف منها القراء كيف كان أنور ينظم الشعر قبل عشرين سنة ، وكنت أود إذ لم تكن في الديوان أن أرويها كلها ، ولكنها طويلة تملأ صفحات من هذه المقدمة

وشعر أنور في تلك الفترة آهات أبدعها الفن صوراً ، ودموع صاغها البيان شعراً ، ومقطعات حلوة ، ما أدري ماذا زهّد الشاعر فيها فلم يثبت منها في هذا الديوان إلا مقطوعة (الحمامة) .

ورأيت فصول (القلم) تتتالى ... فرأيت فيها كل دقيق وجليل من حياة أخي في الصغر وفي الكبر ، ورفيقي في السفر وفي الحضر ، وأنيسي في المسرة وفي الكدر : أنور .

رأيت أيامنا في المدرسة ، ونحن تلاميذ نعيش من الأدب في دنيا الخيال ، إذ أعجزتنا دنيا الواقع أن نجد فيها ما نصبو إليه ونتمناه ؛ لا نصدق متى ينقضي النهار ، وننجو من هذيان جماعة الرياضيات ، وطلاسم أصحاب الكيمياء ، حتى نفر إلى كتب الأدب ، نقرأ كل بارع من القول ، ونتدارس كل رائع من البيان .

ورأيت أنور وقد بذ الأدباء جميعاً في (العلم ...) بالرياضيات ، حتى لقد عرف قطر الدائرة ، وأضلاع المثلث ، ولم يبق عليه ليبلغ نهاية العلم إلا أن يعرف القاسم المشترك الأعظم الذي لم يسمع به امرؤ القيس .. رأيته دائباً يكد ذهنه ، ويمسح عرقه ، يحاول أن يفهم سر المعضلة الكبرى التي لا يفهم لها سر ، ويحل المشكلة التي لا يعرف لها حل : الجذر التكعيبي . وأشهد أني جزت الأربعين من عمري ، ورأيت أياماً سوداً ولقيت شدائد ثقالا ، وسلكت البوادي المقفرة ، وركبت البحار الهائجة ، وعلوت متون السحب ، فما رأيت في البر ، ولا في البحر ، ولا في الجو ، شيئاً أشد ولا أصعب ، من هذا الجذر التكعيبي .

ورأيتنا وقد فرقت بيننا الأيام أمداً ، فاشتغلت أنا بالصحافة ، وغامرت في السياسة ، وآثر أنور التعليم ، فكان مدير المدرسة الأولية في (منين) ، في هذه القرية الناعمة في حجر (القلمون) الأدنى ، ترى مواكب الأحلام بأجمل (عين) وأشدها سحراً ، وأكثرها فتوناً : عين منين من لم ير عين منين ، ما عرف سحر العيون ، ولا رأى جمال الينابيع ، ولا رشف خمر الجمال على مائدة الطبيعة .. فكنت أزوره فأقضي ليلة أو ليلتين في جنة قد جمعت فيها النعم ، أسكر فيها سكرين : سكر الجمال ، وسكر البيان ؛ وأخضع فيها لسحرين : سحر الطبيعة ، وسحر الشعر ؛ وأجمع فيها الماضي البهي ذكرى حلوة ، والآتي الشهي أملا مرتجى ، في حاضر ضاع في نشوة اللذة حتى لم يبق لنا منه حاضر نحسه وندركه . نقضي الأصباح نستمع إلى أشعار السواقي المتحدرة من الينبوع وأشعار أنور ، ونقطع الأماسي عند الصخور التي أفضنا عليها من قلوبنا الحياة فصارت تحنو علينا ، وتولينا الحب ؛ وأرقنا عليها البيان فأمست تحدثنا ، تتلو علينا أحاديث الغابرين ، وتقص قصص الأسلاف ، من غسان أصحاب المجد الأوّل ، فنحس كأن قد عاد الماضي ، ورجعت (القصور البلق) عامرة ، وبعث المجد ، وعاش الحب ، حتى لكأننا نسمع همس العشاق وآهات نشواتهم ووسوسة قبلاتهم ، ونرى خيالات العناق من وراء الأستار !

أيام سعدنا بها ، وما سعدنا بالصخر ولا بالماء . ولكن

بأحلام الشباب . رحمة الله على شبابنا ، وعلى تلك الأيام !

ورأيتنا وقد صرت أنا معلماً فى الجبل من دمشق (فى المهاجرين) ، وصار هو معلماً فى السفح (فى الصالحية) ، فكنا نرتقب المساء ارتقاباً ، فإذا حل انحدرت أنا من هنا ، وانحدر هو من هناك حتى نلتقى عند (العفيف) ، نفرح بهذا اللقاء فرح حبيبين التقيا بعد طول الفراق !

ورأيت أيام العراق ، زهرة أيامنا أنا وأنور وزينتها ، أيام بغداد ! سلام المحبة والوفاء منا على بغداد ! وسلام على أهليها ! وسلام على الأثرى والجوادى وروح الراوى وعلى إخواننا وعلى تلاميذنا فيها ... ويا ما كان أحلى أيام بغداد ، ويا ما أبهى لياليها ، ويا ما أطيب ما حملنا منها من ذكريات ... على دجلتها سلام بردى ، وعلى نخيلها سلام الحور ، وعلى أبوذيتها سلام العتابا ، وعلى أعظميتها وكرادتها ورستميتها سلام الربوة والمزة والشاذروان

لقد كنا فيها معاً أبداً ، يدرّس أنور فى صف وأنا فى صف ، وربما دخلت فدرّست مكانه وقعد فاستمع ؛ وربما دخل فدرّس مكانى وقعدت فاستمعت . ونمشى على الجسر معاً ، وما فى الأرض مكان أحفل بذكريات المجد والشعر والغرام من جسر بغداد — ونتبع الشط ، ونرتاد الرياض ، نزور قصور الخلفاء ، ومواطن الشعراء ، وخلوات المحبين ، نؤم الديارات والأطلال والمقابر ، نتنسم عرف الأجداد ، ونستروح رائحة الماضى ، نستنطق دجلة ، ونستخبر الآثار ، ونسأل النخيل ، ونسمع من الأرض ومن الناس أخبار الماضى الفخم ، وأحاديث الجدود العبقريين ، وقصص المجد الذى لم تر عين الزمان ولم يحمل متن الأرض مجداً أجل منه ولا أعظم ، ولا أرسخ أساساً ولا أعلى ذرى . ولم يكن يرانا الناس إلا معاً ، ولا يقولون إلا أنور وعلى ، وعلى وأنور ، وربما خلطوا فقالوا على العطار وأنور الطنطاوى ...

لقد كانت أيام بغداد أجدى الأيام على أنور ، ففيها اختزن فى نفسه أجمل الصور ، وفيها نظم أروع القصائد ، وفيها ابتدأ فى حياة الشاعر عهد جديد هو عهد الشعر القوى : شعر الحماسة الوطنية ، فازدادت بذلك هذه القيثارة السحرية وتراً جديداً ، خرجت منه أطيب النغمات .

رأيت هذا كله فأحسست أن الدنيا تدور بى ، واختلطت علىّ الصور وتداخلت المشاهد ، فلم أعد أستطيع أن أتبين شيئاً ، ولم أستطع أن أكتب شيئاً ...

ورأيت فصول (الفلم) تتتالى ، فإذا نحن فى سنة ١٩٣٠ ، وقد بقيت بلا عمل (عقب عودتى من سفرتى الثانية إلى مصر) ، فأخذنى أنور إلى إدارة فتى العرب ، فقدمنى إلى معروف الأرناؤوط لأعمل معه فى الجريدة ، وقد عملت معه شهوراً ، وصارت الجريدة ملتقانا أنا وأنور ، وصارت مدرستنا الثانية نأخذ فيها من نفس معروف ، ومن أدب معروف . وما رأينا فى الأدباء من هو أحلى حديثاً ، وأظهر صفاء ، وأملأ بالأدب الحق من فرعه إلى قدمه من معروف ، إذ كنت تشعر وأنت معه أنه يعلو بك عن المادة ، ويسمو عن المطامع ، ويوصلك بحديثه وابتسامته وطفولته إلى عالم كله حب وعاطفة وتجرد . وشىء آخر كنت أحسه ولا أملك التعبير عنه ، شىء مثل الذى تحسه وأنت تقرأ فى رواية معروف (عمر بن الخطاب) ، ومثل الذى تحسه وأنت تسمع حديث أنور ، عندما يكون أنور فى سبحاته الشعرية .

ورأيتنا ، ونحن فى مطلع سنة ١٩٣٣ ، وقد لقيت أنور ، فقال لى : لك عندى مفاجأة تسرك . قلت : وما هى ؟ قال : لا ، إلا أن تتغدى معى فى الدار ، فذهبت معه فإذا هى مفاجأة تسر حقاً : العدد الأول من مجلة الرسالة .

ومن ذلك اليوم دخل بيننا (نحن الاثنين) صديق ثالث ، أحببناه وأحبنا ، وهو الزيات ورسالته ، وصارت الرسالة مدار أحاديثنا ، وصارت مستقر أدبنا ، وصار الزيات أخاً لنا كبيراً ، وصديقاً عزيزاً ، وإن كنت لم أره إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ، ولم يره أنور إلى الآن .

ورأيت أيام المعجزة التى ظهرت على يد الصديق منير العجلانى وكانت تظن من باب المستحيلات ، أيام المجمع الأدبى ، حين ألف بين رجال ما كنا نتخيل أنها تؤلف بينهم الأيام ، لاختلاف مذاهبهم فى الأدب وتباعد مسالكهم فى التفكير ، وتباين طرقهم فى الحياة ، وكانت أيام ألفة ونشاط وأمل ، فأعقبها أيام افتراق وكسل ويأس ... فياليت منيراً الوزير يكمل ما بدأه منير المحامى !

رأيت هذا كله ، فحرت ماذا أصف وعم أتكلم ، وكيف

أستطيع أن أجمع في كلمات دنيا من العواطف ، وعالماً من الذكريات ، وآلافاً مؤلفة من المشاعر ، كانت أثبت من الزمان لأنها بقيت وقد ذهب الزمان ، وكانت أجمل من العمر لأنها هي جمال العمر ؟

رأيت (هذا) كله ، وما (هذا) إلا تلخيص لحياة أنور الشاعر الذي عاش حياته كلها كما يعيش الشعراء الخلص الملهمون شعراء القلب والروح واللسان ، لا شعراء الألفاظ وحدها والبيان الشاعر في قلبه المتفتح أبداً للجمال المترع بالخير المتلىء بالحب ، وفي لسانه الذي يفيض أبداً بالبيان ، وينفث السحر الحلال .

وفي هذا التلخيص تحليل شاعرية أنور ، فإذا أخذتم عليه أنه كان حليف الحزن صديق الأسى ، قد وقف شعره على تقديس الألم العبقري فبكى الأحلام الضائعة كما بكى الأوراق المتناثرة في (الخريف) . وخلد مظاهر الأسى في النفس وفي الطبيعة ؛ فاعلموا أنه لم يكن يستطيع غير ذلك ، وأن الشاعر لا يطبع نفسه كما يشتهي ولكن يطبعه الله بطابع البيئة والزمان ، ويكون مشاعره في طفولته ، قبل أن يشعر هو ليكون مشاعره كما يريد ؛ ولو استطاع أن يصغر فمه أو يجمل أنفه لاستطاع أن يبدل قلبه ويحول عواطفه .

وقد نشأ أنور مثلما نشأت أنا ، وفتح عينه على الدنيا والحرب العالمية قائمة ، ودمشق في أشد أيامها ، ومظاهر البؤس والألم في كل مكان ، فكان يرى الازدحام كل صباح على الفرن ، ولم يكن يفتح منه إلا كوة صغيرة يبرز منها رأس الخباز ليعطي السعيد من الناس كتلة سوداء لا يعرف ما هي على التحقيق وإن كان يعرف أن إسمها (الرغيف) ، والجياع ينبشون المزابل ويأكلون قشور البطيخ ، والنساء يعملن من دون الرجال لأن رجال دمشق قد أكلتهم الحرب ، والإسم المرعب إسم جمال باشا يملأ القلوب فزعاً . ثم رأى المشانق وشهد المآتم ، فامتلأت نفسه بهذه الصور القاتمة حتى لم يبق فيها مكان لغيرها . وإذا هو رأى الأعراس والأفراح أيام فيصل ، فان هذه الأيام لم تكد تبدأ حتى انتهت ، ولم نكد نستمتع بفرحة الاستقلال في حفلة التتويج ، حتى ذقنا غصة الانتداب في مأساة (ميسلون) .

فلا تلوموا أنور إن كان الحزن طابع شعره ، وأن الفرح فيه مثل الفجر الأول لا يكاد يبدو بياضه في الأفق حتى تبتلعه بقايا الليل فهذا هو السبب .

ولا تلوموه إن تغزل ، فتكلم عن الرؤى والأحلام ، وترك الحقائق وعلا إلى سماء الخيال ولم ينزل إلى أرض الواقع ، وأنه عمم وجمجم ، فلم يخصص ولم يصرح ، فإن البيئة التقية التي نشأ فيها أنور لم تكن ترى في الحب إلا (ذنبا) على صاحبه أن يستغفر الله منه ، وأنا أؤكد أن أنور ، كـ (نصيب) الشاعر الذي سمي قوسه ليلى ليتغزل بها . إن أنور لم يتصل في حياته بفتاة على نحو ما يفعل شباب اليوم ، وإنه كان أعف وأشرف من أن يفكر في هذا أو يحاوله ، فمن هنا جاء الذي تلومونه عليه .

ولا تأخذوا على أنور أنه حبس نفسه في هذه الدائرة الضيقة وقصر عليها شعره ولم يخرج إلى الفضاء الأرحب ، ولم يمش في الدنيا الواسعة التي يعيش فيها أكثر الشعراء والناس ، فإن أنور أمضى صباه كما أمضيت صباي في عالم ضيق كانت حدوده تلك المسالك الملتوية الموصلة إلى مكتب (عنبر) ، وتلك الساقية الصغيرة اللطيفة بمقبرة الدحداح ، وذلك الطريق الموحش الذي كان ينتهي عنده العمران ، ويبدأ منه عالم الظلام والفزع واللصوص ، والذي كان اسمه (قفا الدور) فصار يسمى اليوم (شارع بغداد) أفخم شوارع دمشق الجديدة .

إن أنور يخشى اليوم أن يفارق عالمه الشعري الذي أحبه ، أو يتجاوز حدوده كما كان يخشى من قبل أن يتجاوز (قفا الدور) ، أو يتخطى (مكتب عنبر) ولكن عالم أنور الشعري ، عالم واسع على ضيقه لأنه عالم القلب ، ولأنه متصل بالله ؛ وقد تضيق على المرء الأرض كلها إن اقتصر عليها ، ولا يضيق عليه شبر واحد سما حتى اتصل بالسماء .

وعاش أنور في عهد جد ويقظة ، وإقبال على العلم والعمل ، وحفظ أنور أكثر من عشرة آلاف بيت من جياد أشعار العرب ، فجاء أسلوبه كالماء الصافي فيه عذوبة ولين ، وفيه إن تدفق قوة ومضاء . وكان شعره أثر الجد ومؤهلات الخلود ، لا كأشعار أصحاب المناسبات وطالبي إعجاب العوام . وكان نسجه كالحرير المتين المفوف المنقوش النقش البارع ، لا كالنسج الرخيص الذي يتمزق من اللمس ، وتذهب ألوانه من رؤية الشمس .

دفاع عن الأدب

للأستاذ أنور المعداوى

الأدب الذى أعنيه هنا هو أدب الاعترافات ، أو أدب التراجم الذاتية ، أو أدب البوح والافضاء كما يسميه الفيلسوف الإيطالى بندتو كروتشه .

ومن العجيب أننى حين تناولت القلم لأكتب عن أدب الاعترافات ، وقعت على رأى لكروتشه يهاجم فيه هذا الأدب هجوماً عنيفاً ، ويرميه بالتأنث والسفاهة وقلة الحياء والضعف والانحلال ! .. ولو أن رجلا غير كروتشه قد أبدى هذا الرأى فى مثل هـذا اللون من الأدب لما أثار فى نفسى شيئا من العجب أو شيئا من الانكار ؛ ذلك لأنه يبدو أمام المتتبعين لنظرياته فى فلسفة الفن متناقضا مع نفسه ، مترجحا بين اليمين والشمال ، لا يكاد يستقر على رأى ينادى به حتى يعود فيتحول عنه ... إن من يقرأ رأيه فى أدب الاعترافات منفصلا عن رأيه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن ، ليتبادر إلى ذهنه أن كروتشه من أنصار هذا المذهب والداعين له ، مع أنه من أكثر خصومه الحاحا فى الخصومة ، وإغراقا فى التحامل ، واسرافا فى الهدم والتشهير ! .

يقول كروتشه فى تعليل ازدياد عدد الكاتبات من النساء :

وعندى أن علة ذلك الحقيقية هى هـذا الطابع الاعترافى الذى اصطبغ به الأدب الحديث ، فبهذا الطابع إنما فتحت أبواب الأدب على مصاريعها أمام النساء اللواتى يمتزن بالانفعال والنشاط ، فاذا قرأن كتب الشعر لاحظن فيها ما ينطبق على مغامراتهن الشخصية وفواجعهن العاطفية ، فلم يصعب عليهن أن يفرغن ما فى قلوبهن بدون أن يعنين بالأسلوب (والأسلوب كما قال بعضهم بحق لا يأتى من امرأة) . فلئن أصبح للنساء إذن نشاط ملحوظ فى حقل الأدب فلأن الرجال قد تأنثوا بعض الشىء من الناحية الفنية ؛ ومن علامات هذا التأنث قلة الحياء فى عرض مباذلهم ، وهذه الحمى من الصدق التى ما دامت حمى فليست صدقا ، وإنما هى شىء من التصنع الذى يوصل المرء بالسفاهة إلى اكتساب ثقة الناس على نحو ما فعل روسو لأول مرة » ...!

هذا هوارى الفيلسوف الإيطالى فى أدب الاعترافات ... تأنث وسفاهة وقلة حياء ، ويزيد على ذلك قوله بأن هذا اللون من الأدب يتسم بالضعف فى طريقة التعبير ، فهو على التحقيق أدب لا أسلوب له ! وقبل أن أعرض لرأى كروتشه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن ، كاشفا عما فيه من تناقض مع رأيه فى أدب روسو وكل أدب آخر يحمل ذلك الطابع الاعترافى ، قبل هذا كله أود أن أقول إن تلك الحملات التى شنها الفيلسوف الايطالى على هذا اللون من الأدب تبعد كل البعد عن جوهر الواقع الملموس ؛ لأننا لو وضعنا اعترافات رسو أو يوميات اندريه جيد

ما مشى أنور على الطريق الذى فتحه له من قبله ، بل على طريق شقه هو لمن بعده . وكان أنور إمام جماعة الشباب ولم يكن مؤتما تابعا . ولولا نفس من شعر شوقى فى مثل (ليل الحزين) من بواكيره ، وروح من الأدب الفرنسى فى بعضها ، لقلت بأن أنور لم يقلد فى أسلوبه أحداً أبداً . وهل لشاعر مثل الذى لأنور فى وصف الطبيعة وفى وصف البلدان وفى وصف الرؤى والأحلام، حتى يقلده أنور ؟

وبعد فهذا ديوان الوفاء للعربية : نخل مفرداتها فاختار أطيبها ، وعرض أساليبها فاصطفى أحلاها ؛ وديوان الوفاء لأقطارها : جرى بردى منذ الأزل ، وقام لبنان ، فهل قال شاعر فى بردى مثل الذى قال أنور ؟ هل نظم فى لبنان مثل ما نظم ؟ وهل يعرف القارىء فى الشعر العربى كله قصيدة فى وصف الطبيعة أعظم من (لبنان) التى اشتمل عليها هذا الديوان ؟ أنا لا أبالغ ولا أغالى ، وهذا الشعر العربى بين أيدى الناس فمن عرف أعظم منها فليقل ... ولكن المعاصرة حرمان ، وأزهـد الناس فى العالم أهله وجيرانه ، وستمحص السنون هـذا الشعر وهذا النثر ، وتميز الزجاج من الجوهر ، والنحاس من الذهب؛ وهنالك بعد أن يذهب الرجال ، وتنقطع الصداقات والمداوات ، ولا يبقى إلا الأدب الذى يستحق الخلود ، تعرف قيمة (لبنان) وقيمة (بردى) ، وهنالك بعـد أن يعفى النسيان على أسماء كثيرة تملأ اليوم الأسماع ، وتشغل الناس ، يحتل اسم أنور العطار مكانه مع أسماء الشعراء الخالدين .

(دمشق) على الطنطاوى

في ميزان النقد ، لا كتملت لها كل الصفات التي ينشدها الباحثون عن حقيقة الفن . . الفن في كلمات هو أن يعيش الفنان في أعماق الحياة ، وأن يستخدم كل حواسه في تذوق هذه الاعماق ، وأن يملك القدرة على التعبير الصادق عما شهد وأحس حين يتناول ريشته ليسجل انعكاس الحياة على الشعور ، وتلك أشياء يلمسها الناقد في اعترافات روسو ويوميات جيد .

الاعترافات واليوميات صورة واقعية لفترة من حياة الكاتبين الكبيرين ، تمد في حقيقتها لونا من الترجمة الذاتية التي تضع في يد القارىء والناقد مفتاح شخصيتهما الادبية والإنسانية ؛ فإطلاق الرأي فيها بضعف الاسلوب أمر لا ينطبق على الواقع ؛ لان الصدق في التعبير صفة من صفاتها الرئيسية وسمة من سماتها الأصيلة ... وليس هناك أسلوب مهما اتصف بالقوة أو بالجمال يستطيع أن يشق طريقه إلى القلوب والآذان ، مالم يستند إلى أقوى دعامة يمكن أن يستند اليها ، ونعني بها الصدق في التعبير! ومع ذلك فإن صدق التعبير وجماله يتهيآن لروسو في أكثر فصول كتابه ، وبخاصة في تلك المواضع التي تشير إلى علاقاته الوجدانية بمدام دي ڤارنس .

ولعل في رمي الأدب الاعترافي بالتأنث كثيرا من الإغراق في التجني والاسراف والتحامل ، وذلك لان كتاب الاعترافات يقدمون إلى الناس صفحات من سجل الحياة سطرت بمداد الصراحة والامانة والصدق ... صفحات عارية لا تكاد تتشح بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعي وتملق عواطف الجماهير .

ولعمري أن الكاتب الذي يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بما حملت من خير وشر ، من فضيلة ورذيلة ، من لذة وألم ، دون أن يخشى في ذلك نقدا أو ملامة أو زلزلة لمكانته الأدبية والاجتماعية ، هذا الكاتب في رأيي ورأي الحق رجل قوي جدير باحترام الأقوياء وليس متأنثا كما يدعي كروتشه ... إن هناك كتابا يتظاهرون في كتاباتهم بحب الخير والتمسك بأهداب الفضيلة وهم غارقون في حمأة الموبقات ، فهل نستطيع أن نسمي أدبهم أدب قوة ؟ كلا ! ولا نستطيع أن نرفع قيمة هذا الأدب إذا ما قسناه بمقياس الفن الصادق ، مقياس صدق التعبير عن الحياة ؛ لأنه أدب يعبث بالحقائق ، ويشوه الوقائع ، ويكذب على الحياة والناس ! ... إن أندريه جيد لولم يكن متأثرا في كتاباته بفيلسوف القوة نيتشه ، لما تهيأ له أن يتناول قلمه ليكتب ما كتب في اليوميات ! .

ونعود إلى تهمتي السفاهة وقلة الحياء لنرد عليهما بكلمات من نقد كروتشه للمذهب الأخلاقي في الفن ومنها يتبين مدى التناقض الذي وقع فيه الفيلسوف الإيطالي حين دافع عن حرية الفن في مكان ، ثم عاد فهاجم الحرية في مكان آخر ...

يقول كروتشه : « إن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا منحطة ، فهو — كفنان — لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر ... إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة ، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولكن لن يكون فنا أبدا ! » .

ويقول : « لئن كانت الإرادة قوام الإنسان الفنان ، فليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو في حل كذلك من كل تمييز أخلاقي ... إنك لا تستطيع أن تحكم بأن فرانسسكا Francesca دانتي منافية للأخلاق ، ولا أن جوردليا Cordelia شكسبير أخلاقية ، وما هما إلا لحنان من روحي دانتي وشكسبير ليس لهما إلا وظيفة فنية ، إلا إذا استطعت أن تحكم على المربع بأنه أخلاق وعلى المثلث بأنه لا أخلاق ! ... إن من تفرعات المذهب الأخلاقي قولهم إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير ، ويبث فيهم كره الشر ، ويصلح من عاداتهم ، ويقوم أخلاقهم ، وإن على الفنانين أن يساهموا في تربية الجماهير وتقوية الروح القومي أو الحزبي في الشعب ، أو اذاعة المثل الأعلى الذي يفرض على المرء أن يحيا حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك ... والحق أن هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة ذلك . فهل عجز الهندسة هذا يجردها من حقها في الاحترام ؟ فليت شعري لم يريدون إذن أن يجردوا الفن من مثل هذا الحق في مثل هذه الحال ؟! »

هذه الكلمات التي يسوقها كروتشه ليدافع بها عن حرية الفن لا تتفق بحال وما ذهب اليه في نقده لأدب الاعترافات ... ومع ذلك فلا يمكن أن نجد خيرا منها في مجال الدفاع عن اعترافات روسو ويوميات جيد ! .

أنور المعداوي

كتاب جديد لتوماس مان :

«دكتور فاوستس» (*)

للأستاذ عمر حليق

هذا الإنتاج الفني الرائع لأمير البلاغة الألمانية مقالة عن الحضارة الألمانية المعاصرة كتبها عقل يمثل هذه الحضارة خير تمثيل ويستوحي فيها ألواناً من التحليل الفلسفي العميق لنواحي العظمة والضعف في العقلية الألمانية والخلق الألماني .

وأكبر الظن أن الشعب الألماني لن يقرأ هذا الكتاب ، ولن يتأثر به كما يريده توماس مان أن يتأثر . فهؤلاء التيوتونيون الذين يملكون القول الفصل في حضارة أوروبا وسلام أوروبا وعظمة أوروبا مشغولون الآن بالجوع والحرمان والبلبلة السياسية والفكرية والسعي لإزالة هذا الحطام الذي تركته قنابل الأنجلوسكون وجحافل الروس في أزقة المدن وحقول الأرياف ، وفي الأنفس البشرية التي تحطمت معنوياتها في موجات متلاحقة من زوابع سياسية تعصف بهم تارة من موسكو وطوراً من العالم الجديد .

فكتاب مان الجديد أسطورة في تاريخ الأخلاق الألمانية وسجل لهذا الوضع المحزن الذي يكتنف الألمان من كل جهة فيسد عليهم منافذ الفكر والإبداع الفني مؤقتاً على الأقل .

وأكبر الظن كذلك أن الشعب الألماني لن ينتفع بالكتاب لأن مؤلفه اختار الوطن الأمريكي مقراً ، وكان قد استقر به في أوائل النازية لاختلافه معها على حدود الدولة في حرية الفرد وتفكيره وما يؤمن به ويدعو إليه من مبادىء ، وما يفسر به شؤون العقل والحياة مما لا يجد في الفلسفة النازية مكاناً . وإذا صلح الحكم المطلق لتنظيم الفوضى السياسية والتفكك الاقتصادي في فترة من حياة أمة فإنه لا ينبغي مطلقاً أن يقيد الفكر كما يقيد الانتاج الصناعي ، ويحدد كما يحدد اتجاهات السياسة .

وفوق ذلك فإن توماس مان ظنين الولاء لوطنه . كان المعجبون بعبقريته « وألمانيته » ينتظرونه ليعود فيشارك هذا الشعب النشيط مسؤوليته الجسيمة في فترة عويصة يحتاج فيها إلى رسالته الفنية كما تحتاج إلى رسالة « شاخت » الاقتصادية ، ولكن مان — وأمله بتأثير زوجته اليهودية — لم يعد لألمانيا بعد ، ويبدو أنه لن يعود ، وهو يقطن الآن على بعد دقائق من هوليود مدينة السينما .

على أن ولاء توماس السياسي لا يعرف حدوداً إقليمية كمعظم المثقفين الممتازين ، ولكن ولاءه الثقافي لا يزال ألمانياً ، فلا يكتب بغير الألمانية ، ولا يكتب إلا عن الألمانية ، ولا يجاري هؤلاء اللاجئين من كتاب أوروبا الوسطى — ومعظمهم يهود — في تهالكهم على الاندماج في الثقافة الأمريكية المزدهرة اندماجاً فيه كثير من النفاق ، وفيه كثير من « المادية » التي تفسد مقاييس الإعجاب الفني والإنتاج الفني .

هذا الكتاب الجديد دراسة للعلة الألمانية ، وتوماس مان حريص على أن لا يوصي بمعالجتها أو بإيجاد حل لها ، فإذا قرأته — وقراءته من أمتع القراءات في الأدب الغربي المعاصر — خرجت منه بشيء واحد ، وهو أن هذه العلة الألمانية حقيقة ثابتة ، لم تستمد وجودها من النازية ولكن من صميم الثقافة الألمانية والخلق القومي الألماني .

هو حوار بين توماس مان ونفسه ، وهو تحليل لهذا الانفعال العقلي الشديد الذي ألم بتوماس مان بعد أن شاهد المحنة تلم بالثقافة التي ولد فيها وأحبها وأنشد روائعها في قوة وإجادة . وهذا الحوار قصة بطلها فنان ألماني معاصر هو (أدريان ليفركون Adrian Levrkoin) ، وهو مجدد موسيقي توفي في أوج المجد النازي عام ١٩٤٠ قصها على القارىء أستاذ في مدرسة ألمانية اختلف مع النازية حول فلسفة التربية فانزوى في الأرياف يكتب ويفكر ، فلا هو منقطع عن الحياة الألمانية — فإن له ولدين في الجيش — ولا هو قانع بالاتجاه الذي تسير فيه هذه الحياة الألمانية .

والظاهرة الخالدة التي تتكرر في إنتاج توماس مان هو هذا التوازن في الوضعية ، والصراع العقلي الذي ينشأ عن هذا التوازن — صراع الآمن في عزلته في الأرياف ، والفنان الثائر على الوضع يحمل على أكتافه عبء المعرفة ، الصراع بين

(*) الطبعة الأصلية بالألمانية نشرت في ستوكهولم بالسويد والترجمة الألمانية بدار Alfried Knopf New York

« الصحيح » و « المعتل » . خذ أى قصة من قصص توماس مان (جبل السحر) (بود نبروك) (يوسف وأخوته) بأمرك هذا الصراع ، إذ أنه سبيل إلى تحليل كلا الوضعين فى اتزان العقل الألمانى المدقق الذى جعل من قصص مان إنتاجاً فلسفياً بالإضافة إلى كونها روائع أدبية خالدة .

ولقد حبك توماس مان هـذه القصة فى مهارة تنتزع منك الإعجاب .

فراوى القصة (الأستاذ المتقاعد) يعبد عبقرية بطل القصة أدريان ، وهذه العبادة ليست وليدة التقدير الحق لهذه العبقرية ، ولكن من قبيل عبادة الأبطال ، وهى ظاهرة متأصلة فى العقلية الألمانية تعمد توماس مان إبرازها لأنها من الأسس الراسخة التى تدفع الألمان أن لا يسلكوا على نحو ما سلكوه مع هتلر ومع غير هتلر ممن تعاقبوا على الزعامة فى التاريخ الألمانى .

هذه العبادة هى مزيج من العقل والعاطفة ، وهى المسؤولة عن هذا الولاء الشديد ، هـذا التفانى فى المطاوعة والامتثال التى تتأصل فى الخلق الألمانى .

فأدريان فنان مترفع — يعلم مقدار عبقريته وينزع إلى الغلظة والشراسة بفضل هذا العلم ، وذلك لأنه تواق لأن يوفى هذه العبقرية الفنية حقها لا أن يجارى المعجبين .

وأدريان رجل يعيش فى المجتمع ولكنه لا يتقيد به ؛ ذلك لأنه نذر نفسه لأن يخدم هـذه العبقرية وأن يوفى الفن حقه فى الإنتاج والإبداع . فأتى فى نفس أدريان أن يحمل الإبداع إلى أبعد ما يستطيعه الخيال . وهذا الوضع الذى صاغ فيه توماس بطله أدريان هو وضع العقلية الألمانية التى تميل إلى العزلة عن المجتمع الإنسانى لأنها مخورة بهذا العمق الثقافى وهذه المهارة المادية ، ولأنها تود أن تستغل هذا العمق وهذه المهارة لأنهـا تعتقد بأن البروز والتجلى يستلزمان واجبات المضى قدماً فى إعلاء هذا البروز وهذا التجلى .

ولك أن تفسر النداء الهتلرى « ألمـانيا فوق الجميع » بأنه خلاصة لهذا الاتجاه العقلى لدى الألمان صيغ فى لغة شعبية .

استمع إلى أدريان يحدث صديقه المدرس (راوى القصة) عن حرب ألمانيا الأولى (١٩١٤) ويدافع عنها بأنها الوسيلة الوحيدة لألمانيا لأن تحقق ما هى خليقة به بحكم كيانها ومقوماتها العقلية والنفسانية والمادية :

« إن فى قرار العالم مشكلة واحدة ، وهذه المشكلة هى العالم نفسه ، كيف يمكن للمرء أن ينفذ منه ؟ وكيف يخرج منها إلى الفضاء ؟ ما السبيل للمرء أن يشق الغشاء ويخرج إلى النور كالفراشة ؟ » .

والجواب عن كل هذا راسخ فى عقل أدريان ومستمد منه . فلم يشأ توماس مان أن يصيغ الجواب فى شىء أقل عنفاً من مرض الزهرى الخبيث .

فأدريان على ترفعه وعمق ثقافته وعبقريته أحب عاهرة نقلت إليه المرض . كانت الشيطان يزين له الخروج من محنته فآمن بها وتمتع ووجد مخرجاً ولكن إلى حين — وبثمن باهظ . استمع إلى أدريان يقول :

« إننا لا نخلق من العدم شيئاً جديداً — فذلك من شأن الآخرين . إننا نفرج عن أنفسنا فقط ، ونطلق الحرية . إننا ندع الموج والشمور بوطأة النفس والشكوك وسواها تذهب إلى الشيطان . فعليك أنت أن تمهد السبيل ، فاضرب فى الأرض وشق الطريق إلى المستقبل فإذا الصبية يتبعونك ، فهم ليسوا بحاجة إلى جنون ليعملوا ذلك ، فجنونك أنت كفاهم شر الجنون . فعلى جنونك يعيشون أصحاء ، وعلى أكتافهم تعيش أنت صحيحاً . أفهمت ؟ فإنك لن تشق لنفسك الطريق وسط صعاب الزمن ، بل إنك تشق الطريق وسط الزمن نفسه ... واحرص على أن تكون بربرياً . بربرياً مضاعفاً لأنك آت فى أعقاب اللطفاء » .

هـذه محنة ألمانيا وسوادها مستمد من صميم القوى الألمانية نفسها .

وقصة توماس مان ليست على هذه البساطة ، فالحبكة الفنية فيها بارعة . وهذه المحنة ليست محنة النازية فإن مان يكاد يتجاهلها . فهى محنة العقلية الألمانية كما هى وكما كانت ، وامل الألمانى حين يتساءل كما تساءل أدريان :

« لماذا يبدو لى كل شىء فى هذا الكون مشوه الأوضاع ؟ » لا يصور انفعالاته فقط ، بل يصور نفسه كذلك ومعه المجتمع البشرى بأسره .

(نيويورك) **عمر حليق**

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

طرائف من العصر المملوكي :

رسالة الدار عن محاورات الفار

أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم

هذا عنوان طريف حقاً، يثير الطرب، ويدفع السامع إلى تلمس الخبر واستطلاع الأثر. فكم للفار بين الدار من آثار، وكم للدار عند الفار من أخبار، وما ينبئك مثل خبير. فهو ربيب فتوقها ودعى شقوقها. إتخذ من أحجارها مأمنه، وبين جدارها مسكنه. فحفظ أخبارها وكتم أسرارها. والدور تتقلب بها الأيام كما تتقلب بالرجال. فتشقى مرة وتسعد أخرى. وتفيض تارة بالخير، وتبوء تارة بالفراغ منه. وعليها من خارجها طلاء يغشى جدرها، يبهر العين ويخدعها عما وراءها.

أما الفار فهو بها الضيف المقيم، والزائر الذي لا يريم، يشاركها في سرائها وضرائها. يسعد إذا هبت عليها انسام السعادة، ويشقى إذا عصفت بها ريح الشقاء.

وكثيراً ما تضم دور الكرماء طوائف الفيران وجماهير الجرذان. ولها مما فضل نصيب، تمد منه الموائد، وتتنادى إليها ضيافن، لم يوجه لها نداء ولم يرسل إليها استدعاء، فحسبها أنها في دور الكرماء! فتملأ البطون وتعبئ الحصون، وتمهد إلى وقت ساهرة، وتنقلب إلى مخادعها شاكرة ذاكرة. — أما دور البخلاء — جنبت جنابها ووقيت أعتابها — فإنها لا فضل فيها لجائع، ولا ثمالة لظامئ، ولا ستر لمحروم. طالما نصب أهلها للفأر المصائد، ودبروا المكائد. فانقلب عنهم سابا شاتما يذكرهم بكل قبيحة، ويرميهم بكل مذمة: ونفسه فيائضة منهم بالعجب لأنهم يختزنون — فضلا عن المال — ألوانا من الطعام والشراب. فإذا لم يكن للفأر فيها نصيب، فلمن يختزنونها، ولأي شيء يقتنونها؟

والعجب كل العجب أن يلتئم الغنى والبخل، وينسجم الفقر والبذل! أما الأغنياء فبخلاء، لا ينون باسم الأناقة والنظافة، والخوف من الداء وانتشار الوباء، يرأبون الصدوع، ويسدون الفرج، ويغلطون الدهان، ويبثون الفخاخ. وإذا طعموا فبالقسطاس، وإذا شربوا لا يبقون في الكاس. وإذا أفضلوا فاليسير من الفتات الذي لا يصلح للأقوات؛ فلا يقوى عليه الضعيف، ولا يسمن منه النحيف.

أما الفقراء فكثير منهم كرماء. ينضحون بالبر على بني الحيوان من الإنسان وغير الإنسان. يتهاونون في الحرص على أطعمتهم وأشربتهم، ويهملون الجدار حتى يمتلئ بالأحجار، فتمتج بالزائرين من كل أمة.

والفأر بينهم من الأعيان، يجد في الدار مسرحه، وفي الجدار مطرحه. وله بين هذا وذاك ما شاء من طعام وشراب ...

وتنعقد بينه وبين الدار صحبة يمتنها المقام ويمكنها الالف، فلا يني كلما بان عنها يذكرها، وهي لا تفتأ كلما غاب تفتقده ... ولو على رضا منه، وكره منها.

وكثيراً ما تنتقل الصحبة بينهما من الدار إلى أصحابها، ومن الجدر إلى أربابها. فتزول الوحشة، ويقوى الأنس، وتستأنس العين. حتى ترى وفود الفأر تترى زرافات لا تهاب ولا توجل. وتدير أعينها في الحاضرين كأنما تتقاضاهم أجر الحراس وثمن الإيناس ...

وهذه الدار التي تنشر رسالتها وتقص للناس قصتها، وتحب أن تحدثهم عن الفار ووفوده إليها، وتبسط لهم ما دار بينها من الحوار عن عهد رخائها وبؤسها، وأيام عزها وليالي تعسها، هي دار شاعر! عاش في العصر المملوكي. وهو عصر، كما علمنا، لم يدر للشعراء دره، عاشوا فيه عيش الحرمان، بينما سال سيل خيره في غير مجاريهم، وفاض ثريه دون ودبانهم.

أما الشاعر فهو صفي الدين الحلي الذي طوحت به الأيام فنزح عن بلاده، وحمى آبائه وأجداده، إلى ملوك بني أرتق بماردين، وتنقل في مساكنها من دار إلى دار، حتى استقر في «دار ابن الدكناس» وكتب على لسانها هذه الرسالة.

ولهذه الرسالة أو القامة سبب اتخذه الشاعر الناثر وسيلة لأن يكتبها على لسان داره.

وقد أفصح عن هذا السبب بقوله :

« أنشأتها عن لسان الدار التى أسكنها بماردين ، وتعرف بدار ابن الدكناس ، إلى القلمة الشهباء . وأرسلتها إلى السلطان الملك الصالح أبى المكارم شمس الدين . أشكو بفحواها مماطلة نائب له بدين ، كان بعضه لى ، وبعضه على يدى ، بمبلغ طائل كتبه على نفسه ، وأخرجه على مصالح الدولة ، وتعذر عليه وفاه . ولم أوثر مخاشنته لسابق صحبة بيننا . فأنشأتها على سبيل الخلاعة والمزاح . فلما وقف السلطان عليها أطلق المال من خزانته العالية . » الخ .

وقد بدأت الرسالة بأن تكلمت الدار . فسمت ، وتقدمت وتسمت . وأخذت تخاطب القلمة الشهباء مقام الملك الصالح فدحتها وأثنت عليها . ثم انتقلت إلى الشكوى مما أصابها من هجر مالكها الأول ، بعد أن رأت منه ضروباً من العز والنعيم والتمتع . ثم مما كابدت من بعده من هم وبؤس . حتى هال فيرانها بؤسها ، فتحدثت عنه فيما بينها ، وأهمها أمرها ، فتناقشت فيه واتخذته موضوعاً لجدال جاد .

فقام من بين الفيران خطيب سرد قصة الدار على سامعيه ، ثم أوصاهم بالساكن الجديد خيراً . — والساكن الجديد هو صفى الدين ! — ثم تحدثت الدار عما كان من أمر صفى ، وكيف أنه أعاد إلى رحابها عهد السرور والأنس ، ومد فيها موائد الحبور والبهجة ، حتى ضاقت ذات يده ، وتغيرت به الأحوال ، وتقلب عليه الليل والنهار . حتى جارت الدار بالشكاية له ورثى لحاله فيرانها ، وعاد أمره بينها مثارا لجدل جديد ...

ثم بينت أن سبب نكبته ، ذلك الدين الذى أقرضه لنائب السلطان ... وتضرع الدار فى الخاتمة إلى القلمة الشهباء أن ترثى لحالها وتقبل شفاعتها فى ساكنها ، حتى يرد إليه دينه فتسعد حاله .

هذا ملخص سريع لمقامة صفى الدين . ومما قالته الدار فى مفتتحها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . المملوكة والمحرومة المرحومة الموحشة بعد الإيناس ، دار ابن الدكناس ، تقبل الأرض بين يدى القلمة الشريفة ، والذروة المنيفة . العزيزة الثناء سيدة القلاع ، وواسطة عقد البقاع ، وإنسان عين اليفاع ، التى قلائدها النجوم ، ومطارفها الغيوم ، وقرطاها الفرقدان ، وقلباها السماكان . ونطاقها الجوزاء . ومجولها الهواء . وفرقها المجرة ، ونثر إكليلها الإكليل والنثرة ، حصن النجباء وكهف الغرباء وكعبة الأدباء . القلمة الشهباء . » ... الخ ومن شكواها قوله :

« وتنهى أن المملوكة ، والمظلومة المضنوكة ، يسكنها الحياء والأدب . وينطقها الإعياء والنصب . وشكوى الجماد إلى الجماد ، كشكوى العباد إلى العباد . وإن المعهود ، من تقادم العهود ، أن الله إذا خص مخلوقا بنعمه ، عم بها أبناء جنسه ، وأشركهم فيها مع نفسه » . إلى أن قالت تصف حالها بعد ساكنها : « فلما طوحت بساكنها الأيام ، إلى أقصى الشام ، جفاها الإخوان حيناً طويلا ، وهجرها الرفاق هجراً طويلا ، فكابدت بعده هما وبوسى ، وأقامت فارغة كفؤاد أم موسى . لا تجد أنيساً فى عراصها القفار ، ولا تسمع حسيساً غير صهيل الفار . حتى رثت لها أكثر البيوت ، وخيم على وجهها أسرة العنكبوت » ... الخ .

ومن كلام الجرذ الخطيب فى إخوانه ، قوله بعد حمد الله والصلاة على النبى بتطويل وتنويع ، موصياً إخوانه بحسن لقاء الساكن الجديد — صفى الدين — راسماً لهم سياسة هذا اللقاء :

« هذه الدار المباركة أول تربة بركم أترابها . وأول أرض مس جسمكم ترابها . فلا يمكن على أيديكم خرابها . ألا وإنها منذ خلا مسكنها من ساكنها ، وتمكن العفاء من أماكنها ، جعلتموها ندوة نهاركم وليلكم ، وحلبة رجلكم وخيلكم ، والآن فقد انجابت عنها أيام البئوس ، وأفلت طوالع النحوس ، ولحظها الدهر بعين الرضا ، وقضى بسعدها فصل القضا . ولولاها نعم المولى . وابتدر لسكناها الصفى الحلى . وفى يومكم هذا يرسل إليكم من يلم شعثها ، ويطهر خبثها . ومتى رآكم بها سارين وفى قرارتها راسبين . كره مغناها ، واتخذ لنفسه سواها . فعاد ربعها كالرمس . ومتى تقبلها إذا قابلها ، أخصب ربعها ، وتعدى إلينا نفعها . ألا وإن من استرشد بحكمتى ، واتبع كلمتى ، أثبته فى أمتى ، وأتممت عليه نعمتى » ...

والرسالة تقع فى نحو سبع صفحات من القطع المتوسط . وهى فكاهية المنزع إلى حد كبير ، جميلة الأسلوب رقيقة العبارة تمتاز عن رسائل صفى الدين الأخرى ، بالوضوح والسلاسة بالرغم من قيود البديع التى راعاها ؛ ولكنها سلمت من التعسف والثقل . وبها بعض الملتزمات اللفظية التقليدية المرعية فى رسائل العصر من نحو « المملوكة » و « تقبل الأرض » و « تنهى » .

واجتمعت بها أغراض كتابية عدة منها الدعاء والشكوى والمدح والوصف والمجون والحكمة .

وقد عرضنا فى هذا المقال لهذه الرسالة لكى تبرز إحدى خصوصياتها الهامة ، وهى القص والحوار . ونستطيع أن نفهم منها أن فكرة النثر التمثيلي كانت تتراءى فى مخيلات بعض الكتاب فى ذلك العصر . وإن نقصها شيء من الإطالة ، والتناسق وحسن الترتيب وقوة الحبكة وروعة الوقائع ودقة الاتصال بينها .

حقاً ! أصبحت القصة فى عصرنا الحديث فى مقدمة فنون القول ، وكذلك التمثيليات . وألف من هذه وتلك ، وترجم عدد لا بأس به . وتناولها النقاد على اختلاف نزعاتهم بالنقد والتنويه والتعليق والتوجيه . وهم يبذلون محاولات جاهدة لكى يقننوا تقدم ، ويضعوا له الأسس والمناهج ، حتى يعاونوا على تشييد صروح القصة والتمثيلية على دعائم متينة تسمق بفضلها إلى الكمال المنشود . —

غير أننا نكلف الأيام ضد طباعها ، ونرهق الزمن بما لا يطيق إذا نحن حاسبنا الأقدمين وفق شروطنا ، ووزنا أعمالهم بموازيننا ضاربين الذكر صفحاً عن الفروق بين ملابساتنا وملابساتهم ، واتجاه الزمن بنا وبهم .

والذى نحب أن ننوه به هو أن القصة كانت لها حياة ، وكان لها وجود ، فى العصر المملوكى ، ولو إلى حد ما . وأن من مظاهر حياتها — فضلا عن القصة الصريحة — المقامات والمحاورات والمفاخرات والموازنات والرسائل الوصفية ، وتراجم الرجال والأبطال .

وفى مقدمة ما نشير إليه من ذلك كله كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » .

ومؤلف هذا الكتاب هو شهاب الدين أحمد بن عربشاه الطبيب والمؤرخ الأديب صاحب كتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » أصله دمشقى أنصارى ، ولد بدمشق عام ٧٩١ هـ ، وقد هاجر مع أسرته منها حينما دهمها تيمور لنك التترى ، وطوحت به الأيام حتى طاف بآفاق أسيوية عدة ، ثم عاد إلى بلاد الأتراك العثمانيين واشتغل فى ديون إنشائهم ، وأتقن عدة لغات ، ومهر فى جملة علوم . واعتزل العمل بأخرة ، وعاد إلى وطنه . ويمم شطر حلب ، وزار مصر فى عهد سلطانه جقمق العلائى وقال السخاوى إنه لقيه بها عام ٨٥٠ هـ . وقد لبث بمصر حتى واتاه أجله عام ٨٥٤ هـ ودفن بالخانقاه الصالحية .

نعود بعد هذا إلى كتابه « فاكهة الخلفاء » . فهو مؤلف قصصى بديع ، اجتمعت فيه الأمثال واكتنزت به الحكم وبجات به ضروب الدهاء والحيل ، وغير ذلك من عدالة وصدق وأخلاق إنسانية ، لا بأسلوب فج جامد خشن صريح ، ولكن بأسلوب قصصى جذاب ممتع فيه خيال وتصوير ، فروى على ألسنة الحيوان مما يمشى على أربع ، ومما يطير بجناحين ، ومما يزحف على بطنه . فهو إذاً غير مبتكر لهذا الضرب من القص ، فقد سبقه به فى العربية عبد الله بن المقفع أول من سن هذه السنة الحسنة لمن جاء بعده من الأدباء والقصاصين فى كتابه « كليلة ودمنة » غير أن ابن عربشاه كان مبتكراً فى صلب القصص ومتن الحكايات .

وقسم الكتاب إلى عشرة أبواب فى كل منها قصة طويلة يستطرد خلالها إلى قصص جزئية أخرى . ومن أبوابها — على سبيل المثال — باب فى نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع ...

وقد جمع ابن عربشاه فى أسلوب قصصه بين طريقة ابن المقفع وطريقة كتاب المقامات وبخاصة الهمذانى والحريرى .

فابن المقفع ابتدع — كما يقال — شخصية « دبشليم » الملك أحد ملوك الهند ، يجلس فى محفله ويطلب إلى شخصية أخرى هى « بيدبا » الفيلسوف أن يحدثه ويضرب له الأمثال ، فيحدثه بيدبا ويقص قصصه على ألسنة الحيوان . وكذلك فعل ابن عربشاه فإنه افترض ملكا عظيما يحدثه رجل حكيم . ولكن بفارق يسير . ذلك أن الملك والحكيم كليهما أخوان لأب واحد كان من قبلهما ملكا عظيما خلف أبناء خمسة . وملك من بعده كبيرهم هذا وعاش الأربعة تحت ظله فى وئام وطاعة ، حتى عصفت بينهم ريح الشقاق والخلاف . فتنافرت القلوب وتجافت النفوس وتفرقت الأهواء، فهال الأمر أصغرهم واسمه « حسيب » وكان حكيما فيلسوفاً زاهداً . ولم يتركه أهل النم والوقيمة حتى أفسدوا ما بينه وبين أخيه الملك . فجمعه الملك فى حفل من أعيان دولته ، وأخذ يستطلع علمه وحكمته رغبة فى التشهير به وتسفيهه . ففاض بينهم بحكمه وأمثاله ، وساق قصصه على ألسنة الحيوان ، وتكرر الحفل وتمدد القص ، حتى اعترف له الجمع بالفضل والنبل .

(البقية فى العدد القادم)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٢ —

تكلمت(١) فى المقال السابق عن تميم مشيراً إلى أنها كانت تسكن جزءاً من نجد .

وأذكر أنها مع القبائل التى تجاورها يشتركون فى بعض اللهجات ، وإذا ما وردت لهجة فى كتب النحو والقراءات واللغة خاصة بنجد كانت شاملة ضمنا لها . كما يغلب أن تشترك القبائل النجدية الأخرى فيما يذكر لهذه القبيلة ، لتجاورهم فى المسكن وقرب اتصالهم . وتميم شاركت أحيانا قبيلة أسد لمجاورتها لها من ناحية وشاركت بكر بن وائل من ربيعة لمجاورتها لها من ناحية أخرى وشاركت لخما المتأثرين بالفرس لمجاورتها لهم من ناحية ثالثة ، وما ذلك إلا لأن تميما منها بطون كثيرة كيربوع وطهية ودارم ومازن وحنظلة . وقد تنفرد كل قبيلة مجاورة لتميم بما يؤثر عنها من لهجات وذلك ما نراه حادثا حتى الآن فى بلدين متجاورين من اختلاف فى معانى الألفاظ أو طريقة أداء الكلمات .

وسأعرض للهجة كل قبيلة مستقصيا ذلك ما أمكن مشيراً إلى ما كان للهجتها من أثر فى القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها وأولى اللهجات التى سأذكرها هى لهجة تميم .

١ — ما الحجازية وما التميمية :

تعمل « ما » عمل ليس فى لهجة الحجازيين فترفع الاسم وتنصب الخبر بشروطها . أما عند التميميين فلا تعمل ويكون الاسمان بعدها مرفوعين . وجاء فى القراءات على لغة الحجازيين : « وما منكم من أحد عنه حاجزين » « ما هذا بشرا » و « ماهن أمهاتهم » وقد قرأ عبد الله بن مسعود على لغة التميميين برفع بشر وقرأ المفضل عن عاصم برفع أمهاتهم على لغتهم . وقد تظارف أحد الشعراء النحاة حيث يذكر لنا أنه طلب من محبوبه الانتساب إلى قبيلته فلم يجبه بصريح القول ، وإنما ذكر له تعبيراً فهم منه القبيلة التى ينتسب إليها فقال :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب — فأجاب : ما قتل المحب حرام

فاجابته « ما قتل المحب حرام » أفادت أنه تميمى لأنه لم يجعل « ما » تنصب الخبر ، ولو قال : ما قتل المحب حراما ، لفهم منه أنه حجازى .

٢ — لغة تميم وكثير غيرهم عدم الفك فى المضارع المضعف المجزوم والأمر : مثل شد ولم يشد قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير — فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفى القرآن قوله تعالى : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » فى قراءة القراء ما عدا نافعا وابن عامر وأبا جعفر الذين قرءوها بفك الأدغام وقوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » فى قراءة من جعل « لا » ناهية وتضار من الضرر وهم ما عدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدى الذين جعلوا « لا » نافية فرفعوا وأبا جعفر فى بعض طرقه الذى جعل تضار من ضار يضير وما عدا الحسن الذى فك الإدغام فقرأها لا تضارر . وقوله تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » بالجزم وتشديد الراء رواية أبى زيد عن المفضل عن عاصم ، أما الباقون فبالرفع أو جعلوا الفعل من ضار يضـــير وجزموا ، وقرأها أبى بن كعب يضرركم مجزومة ، بفك الإدغام .

وقد ورد كثير فى القرآن على لهجة الحجازيين ، منه قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم » « إن تمسسكم حسنة تسؤهم . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . اشدد به أزرى . واغضض من صوتك . واحلل عقدة من لسانى ... » .

وهناك من بنى تميم من يحرك آخر الأمر فى المضعف بحركة فاء الكلمة فيقول مُدُّ بضم الدال تبعاً للميم وعضَّ بفتح الضاد تبعاً للعين وعزِّ بكسر الزاى تبعاً للعين . إلا أن القبائل العربية جميعها اتفقت على الإدغام فى هلم وحركت آخرها بالفتح ما عدا قبيلتى كعب وغنى فإنهما حركتاه بالكسرة غاية ما فى الأمر أن الحجازيين استعملوا هلم(١) للمفرد والمثنى والجمع تذكيراً وتأنيثاً

(١) ذكر صفوان بن سالم فى المقال السابق وصحته صفوان بن عسال أما سالم فخطأ من الطبعة الموسوية لكتاب الاغانى .

(١) واستعملت هلم فى القرآن على لغة الحجازيين « قل هلم شهداءكم » و « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » .

بدون إلحاق ضمائر وبنو تميم ألحقوا بها ضمير المؤنثة والمثنى والجمع بنوعيه . كما اتفقت قبائل العرب على فك الإدغام في صيغة التعجب التي على وزن أفعل به فيقولون أحبب بمحمد .

٣ — يجوز الإبدال عند التميميين في الاستثناء المنقطع التام المنفي ، والمنقطع هو ألا يكون الاسم الذي بعد إلا من جنس ما قبلها ومنه قول الشاعر :

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن   لنا خاطب إلا السنان وعامله

وقوله :

وبلدة ليس بهـــا أنيس   إلا اليعـــافير وإلا العيس

فالسنان مرفوع وهو بدل من خاطب ، واليعافير مرفوع وهو بدل من أنيس .

قال الزمخشري في قوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » إنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم أما غير التميميين فيوجبون النصب في مثل هذا الاستثناء .

٤ — بعض بني تميم ومثلهم بنو عامر يجعلون إعراب الملحق بجمع المذكر السالم في آخره ويلزمونه الياء وينونونه إذا كان نكرة ولا يحذفون النون في الإضافة وذلك فيما عدا عشرين وأخواتها فإنها تعرب كجمع المذكر السالم وقد جاء عليه قول الشاعر :

دعاني من نجد فإن سنينه   لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

لكن القراءات جاءت على الأكثر : وما أدراك ما عليون . الذين جعلوا القرآن عضين . عن اليمين وعن الشمال عزين . فلبث في السجن بضع سنين .

٥ — ربوع وطهية بطنان من تميم يبنون حيث على الفتح دائماً يقولون : حيث التقينا ومن حيث التقينا بفتح الثاء فيهما وقد قرأ عبيد بن عمير الليثي « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » بفتح الثاء والمشهور في حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها .

٦ — لغة تميم ومثلهم في ذلك قيس وأسد وربيعة كسر حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون . وقد قرأ زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير إياك نعبد بكسر النون(١) ، وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلي وأبو نهيك « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء فيهما ، أما بعض قبيلة كلب فإنهم يكسرون جميع أحرف المضارعة .

٧ — الإمالة لهجة تميم وعامة نجد من قيس وأسد ، وهي الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لأسباب تكفلت بها كتب النحو والقراءات وأشد القبائل حرصاً على الإمالة تميم وفي الحجازيين إمالة قليلة إلا أنها في الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وجميع القراء الأربعة عشر أمالوا ما عدا ابن كثير وابن محيصن المكيين . والذين أمالوا لهم شروط خاصة وقد يتفقون وقد يختلفون . والفتح يقابل الإمالة في اصطلاح القراء . وفي القراء من تقل إمالته كابن عامر وفيهم من تكثر والمكثرون منهم من يميل إمالة صغرى كطريق الأزرق عن ورش ومنهم من يميل إمالة كبرى كحمزة والكسائي وخلف ومنهم من يكون بين الصغرى والكبرى كأبي عمرو ، فمثلا حمزة والكسائي وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى والسلوى وذكرى ، وألحقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح كسكارى ونصارى وكل ما رسم في المصاحف بالياء نحو بلى ومتى واستثنوا من ذلك حتى ولدى وعلى وما زكى فلم تمل بحال وأمالوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم كالربا والضحا وأمالوا وأمال غيرهم من القراء غير ذلك مما لا يحصره بحثنا الآن .

٨ — النبر والتخفيف في الهمز :

أحرص العرب على تحقيق الهمزة تميم . وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا قال ابن منظور في لسان العرب « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » . وفي الرضي على الشافية « تخفف الهمزة قوم وهم أهل الحجاز ولا سيما قريش » هذا وبعض تميم في الهمزة التي تكون آخر الكلمة وقبلها ساكن عند الوقوف عليها يبقون الهمزة ويتبعون العين الفاء في الرفع والنصب والجر فالبطء بضم فسكون والردء بكسر فسكون والخبء بفتح فسكون يقولون فيها هذا البطؤ بضم الباء والطاء والردىء بكسر الراء والدال والخبأ بفتح الخاء والباء ، ومن تميم من يبقي الهمزة ويلقي حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا وذلك في حالة الوقف فيقولون هذا البُطُؤ بضم الباء والطاء ورأيت البطأ بضم ففتح ومررت بالبطىء بضم فكسر

(١) قرأ عبيد بن عمير وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش « نستعين بكسر النون » .

أما الحجازيون فإنهم يحذفون الهمزة وينقلون حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا فإذا كانت آخر الكلمة حذفوا الهمزة ووقفوا على ما قبلها إذا كان ساكنا وفى حالة التنوين فى المنصوب وقبل الهمزة ساكن يقلبون التنوين ألفا لا غير ويحركون السكون قبلها يقولون رأيت بطا وردا وخبا . والتى قبلها متحرك تدبر بحركة ما قبلها فالخطأ تقلب ألفا دائما رفعا ونصبا وجرا وأكؤ تقلب واوا دائما وأهنى تقلب ياء دائما وقد روى أن قوما من جهينة جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بأسير وهو يرعد من البرد فقال لهم « ادفوه » أراد عليه السلام ادفئوه من البرد فحسبوا أنه يريد الإجهاز عليه من قولهم دفوت الجريح أدفوه دفوا إذا أجهزت عليه فذهبوا به وقتلوه فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ديته .

وإن اختلاف القراء فى التخفيف والنقل واسع جدا وأكثر ما يرد التخفيف من طريق القراء الحجازيين كابن كثير وابن محيصين المكيين ونافع وأبى جعفر المدنيين وأبى عمرو التميمى البصرى لأن مادة قراءته عن أهل الحجاز . ومما يلحق بهذا أن التميميين يقولون فى الأمر من سأل اسأل وقد وردت كثيرا فى رواية حفص عن عاصم : فاسأل الذين يقرءون الكتاب . واسأل القرية . فاسأل بنى إسرائيل . فاسأل به خبيرا . واسألوا الله من فضله » . أما الحجازيون فيقولون فى الأمر سل ، وقد جاءت فى رواية حفص أيضا « سل بنى اسرائيل . سلهم أيهم بذلك زعيم » وبعض القراء كابن كثير ، يقرأ ما جاء فى رواية حفص بلغة الحجازيين فيحذف الهمزة وينقل حركتها إلى ما قبلها فمثلا : واسأل القرية يقرؤها وسل القرية » .

٩ — لغة تميم تسكين الوسط المتحرك تخفيفا قال السيوطى فى كتابه الإتقان(١) : قال أبو عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا حرفا واحدا وهو عشرة إذا ركبت مع احدى واثنتين إلى التسع فانهم يجزمونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم فى الكلام إلا هذا الحرف فانهم يقولون عشرة بالكسر : وقد قرأ جمهور القراء بسكون الشين وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وابن أبى ليلى والمطوعى عن الأعمش بكسر الشين وذلك فى قوله تعالى « اثنتا عشرة عينا » . هذا وقد ورد

(١) وقال السيوطى في موضع آخر من كتاب الاتقان ، إن تسكين الشين لغة تميم وكسرها لغة الحجاز وفتحها لغة بلى . لكن الرواية السابقة صريحة فى أن كسر الشين من عشرة انفردت به تميم . وفى تفسير البحر ما يؤيد ذلك وفى لسان العرب ما يؤيد ذلك أيضا .

فى القرآن كثير من الألفاظ قرئت باسكان وسطها وتحريكه كرسلنا وخطوات ونهر ولا يمكن حصرها وحصر قرائها فى مقال ، وقال جرير على طريقة التميميين :

سيروا بنى العم والأهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تعرفكم العرب

باسكان الفاء من تعرفكم مع أنه لم يسبقه جازم .

ومما يلحق بهذا الإسكان ضمير الغائب والغائبة هو وهى ، فالتميميون إذا سبقه الواو(١) أو الفاء أو اللام أو ثم ، يسكنون الهاء . وهى تجرى بهم . وهو بكل شيء عليم . فهو خير لكم . فهي خاوية . لهى الحيوان . ثم هو وقد قرأ أبو عمرو والكسائى ونافع من رواية قالون والحسن واليزيدى بالإسكان وأبو جعفر فى أغلبها بالإسكان ، أما الحجازيون فإنهم يتركون الهاء على حركته بدون تسكين وهو ما جرى عليه باقي القراء .

هذا ولا يفوتنى أن أذكر أن إسكان الوسط يكون عند اجتماع ثلاث حركات وأن قبيلة أسد وبعض سكان نجد يشاركون تميما فى ذلك كما أن بعض القراء لا يسكن الحرف ولا يحركه وإنما يجرى على ما يسمونه اختلاسا وهو الإتيان بأكثر الحركة فمثلا « بارئكم » قرئت بكسر الهمزة وباسكانها وباختلاس الكسرة .

١٠ — لغة تميم فى « أنا » ضمير المتكلم إثبات ألفه وصلا ووقفا أما غيرهم فإثبات الألف وقفا وقد قرأ نافع(١) وأبو جعفر مع أنهما مدينان باثبات الألف فى الوصل فى مثل قوله تعالى : « أنا أحيى وأميت » . أما باقى القراء فبالحذف وصلا .

١١ — « هيهات » لغة تميم فيها بناؤها على الكسرة ، وكذلك قبيلة أسد وبها قرأ أبو جعفر « هيهات » ، أما لغة الحجازيين فبناؤها على الفتح ، وبها قرأ الباقون .

١٢ — اللذان واللتان وهذان وهاتان لغة تميم فيها تشديد النون وكسرها وبها قرأ ابن كثير مع أنه مكى أما باقي القراء فبكسر النون بدون تشديد .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

(١) والهمزة أيضا لأنها تجعل الضمير معها كلمة محركة بثلاث حركات قال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعا وأرقنى فقلت أهى سرت أم عادنى حلم

(٢) قرأنا نافع أيضا « إنى ليحزننى أن تذهبوا به بضم الياء وكسر الزاى ، وهى لغة تميم من أحزن ، أما باقى القراء فبفتح الياء وضم الزاى من حزن .

محمد إقبال

شاعر الشرق والإسلام

١٣٨٩ — ١٣٥٧ ١٨٧٣ — ١٩٣٨

للأستاذ مسعود الندوى

— ٤ —

نعم، شعره منقسم إلى قسمين: نوع لا يدرك كنهه إلا الذين أوتوا حظاً وافراً من العلم، والذوق الأدبى، وهو الذى أخرجه للمتعلمين والمتأدبين خاصة، وفيه فلسفة وشعر وحكمة وانتقاد لنظريات فلاسفة الغرب وآرائهم. وقسم فيه الدعوة إلى الجهاد وإيقاظ النائمين من سباتهم وإماطة اللثام عن وجه الحضارة الغربية والسياسة المصرية وغيرهما من المظات وأسرار الطبيعة؛ وهذا يمكن فهمه والانتفاع به لكل من له إلمام بالشعر والأدب. وفوق ذلك أن بعض كلماته كالشكوى إلى الله (شكوه) وشكاة الأمة إلى نبيها (فرياد أمت) تنشدها العامة وتهتز لها طرباً؛ لأن الشاعر أعرب فيها عن عواطف جمهور الأمة فصادفت هوى فى قلوبهم. وأضرب لك مثلاً بكلمته الشهيرة السائرة الشكوى إلى الله (شكوه) التى شكا فيها الأمة ورفع شكاتها إلى الله تعالى من إنعامه على الكافرين وإغداق النعم عليهم وسوء حال المسلمين فى العالم وغيرهما من أمور يشكو منها المسلمون فى هذا العصر ويتذمرون عليها فى هذه الحياة الدنيا. وقد بدأها الشاعر بقوله:

« ربنا اسمع قليلا شكوى عبادك الأوفياء المخلصين،
واستمع هنيهة لشكاة الذين تلهج ألسنتهم دائماً بالثناء عليك،
ولا ريب أننا معروفون بالصبر والاستسلام للقضاء،
لكنا نسمعك الآن نفثات القلوب المكلومة لأن نوائب الأيام أجبرتنا على ذلك ».

إلى أن رفع عقيرته قائلا:

« كان يسكن هذه المعمورة السلاجقة والطورانيون،
وكذلك كان أهل الصين فى الصين والساسانيون فى بلاد فارس
وأيضاً كان يقطن اليونانيون بهذه الأرض الواسعة.
ولكن قل لى بنفسك: أيهم تناول السيف بيده لإعلاء كلمتك؟
وأيهم قام لإصلاح المجتمع وقطع دابر الفساد من الأرض؟ »

وهكذا ذهب به كل مذهب فى هذه الشكوى حتى خاطب ربه متألماً:

« رحمتك تتوالى على الأجانب ودورهم،
أما المسلمون فليس من حظهم إلا رعود النوائب وبروقها؛
والبلية كل البلية أن الكفار ينعمون بحور مقصورات وقصور مشيدة، والمسلمون المساكين يملون بوعود الحور فقط؟

وتخلل هذه الشكوى كثير من مزايا الأسلاف وخصائص أعمالهم الجليلة التى افتخر بها الشاعر أمام ربه كقوله فى وصف المجاهدين الأولين:

وكلما حانت الصلاة أثناء صليل السيوف،
ولت الأمة الحجازية وجهها شطر القبلة وسجدت لله تعالى شاكرة
ووقف محمود (الأمير) وإياز (المملوك) فى وصف واحد
فلم يبق هنالك عبد ولا مولى، وأصبحوا جميعاً عبيداً لله؛
واتحد العبد والمولى والفقير والغنى،
ولما وصلوا فى حضرتك، صاروا وحدة جامعة وكتلة متراصة ».

وكلمة (شكوه) هذه سائرة مسير المثل فى طول بلاد الهند وعرضها. وكذلك يضاهيها فى الشهرة والقبول جواب الشكوى (جواب شكوه) التى رد فيها الشاعر على كل بيت من شكواه وذلك بلسان الله عز وجل، وكلتاهما أشهر من « قفانبك »، وقد ترجمت بلغات عديدة. ولكن العارفين بدخائل الكلام يرون أن الشاعر لم يكن موفقاً فى الرد مثل نجاحه فى عرض الشكوى. وذلك غير بعيد من شاعر مطبوع متألم من مصير بنى قومه، وهو فى ريعان شبابه. وعلى كل فإن الشاعر نجح إلى حد بعيد فى إرشاد إخوانه إلى مواطن ضعفهم فى الدين والأخلاق

هذا وقد عرفت ما بلغه الشاعر الحكيم من علو الفكر، وسمو البيان فى الدور الثالث من حياته الشعرية، نريد أن نعرف القراء بشئ من غرر شعره وفرائد حكمه فى الدور الرابع من شاعريته حينما جاوز حد الفتوة، وأصبح فى عداد الحكماء أكثر منه فى الشعراء. ولكن حكمه منتثرة فى مطاوى دواوينه، كثيرة متنوعة فى مواضيعها، بحيث لا يمكن تقدير إحاطتها وتنوعها

بعدة من الأمثلة ، ولذلك يجدر بالمقام أن نبتدئ أولا بذكر دواوينه والإشارة إلى مواضيعها ، ليكون القارئ على بينة من كثرة منظومه وتنوع أفكاره وحكمه ، ثم نلخص نتفاً من آرائه السديدة وحكمه البالغة . أما دواوينه الشعرية ، فهاك بيانها :

١ — بانك درا (صوت الجرس) : مجموعة شعره (باللغة الأردية) فى الأدوار الثلاثة الأولى ، وأكثرها دعوة إلى الجهاد وتذكير بالماضى واستهزاء بالحضارة الجديدة فى التعليم العصرى ونتائجه السيئة .

٢ — أسرار خودى (أسرار فلسفة الذاتية أى فلسفة الاستقلال بالرأى والعزم) : وقف الشاعر هذا « المثنوى » (نوع من الشعر الفارسى) لإيضاح فلسفة « خودى » وبيان نتائجها ، مستدلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية . وفيه تفسير لسورة الإخلاص نفيس فى تبيين هذا المعنى ، وذلك بلسان سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد ترجم هذه المجموعة الدكتور نكلسن بالإنجليزية وهذا الديوان أيضاً من آثار شبابه

٣ — پيام مشرق (رسالة الشرق) : نظم الشاعر هذا الديوان رداً على (الديوان المغربى) للشاعر الألمانى الشهير (غوته) وبين فيه الحقائق والحكم التى تساعد الأمم على تربية عقولها وتثقيف أبنائها بثقافة ناضجة محكمة . وقد أضاف إليه الشاعر مقدمة ممتعة بين فيها ما كان للأدب الفارسى من تأثير فى الأدب الألمانى ، وأن ديوان غوته المعروف « بالديوان المغربى » أيضاً نتيجة من نتائج هذا التأثير . وهذا أول الدواوين التى نشرها فى الدور الرابع من حياته الشعرية . وقد تلقاه أهل الأدب فى الشرق والغرب بالقبول . وكان الشاعر أهداه إلى الملك أمان الله خان ، ملك بلاد الأفغان وقتئذ ، حيث كانت الأمة قد عقدت عناصرها عليه وكان صاحبنا يرجو منه شيئاً كثيراً فى سبيل أحكام أواصر الأخوة الإسلامية وتوطيد دعائم المجد الإسلامى .

٤ — زبور عجم (زبور العجم) للناس أقوال فى تفضيل بعض دواوينه على بعض ، حتى إن بعض الشبان الثائرين يفضلون ديوانه الأول « بانك درا » على جميع دواوينه لكونه مشتملا على روح الثورة والجهاد . ولكن جميع الناقدين متفقون على أن « زبور عجم » شعر ، كما أن « أسرار خودى » فلسفة و (پيام مشرق) حكمة . وفى هذا الديوان من مكنونات أسرار الحياة وغوامض الحكم ما تهش له النفس ويفرح به القلب .

٥ — « جاويد نامه(١) » سلك فيه الشاعر مسلك المعرى فى رسالة « الغفران » و « دانتى الإيطالى فى ديوانه « Divine Camedey » حيث صاحب الحكيم العارف بالله جلال الدين الرومى وارتقى معه درجات السماء فى عالم الخيال ، فلاقى هنالك أرواح المجاهدين وأسر إليها بذات نفسه ووصف لها أدواء الأمة واستفسر عن دوائها ، فوصف له الدواء الناجع أمثال السيد جمال الدين الأفغانى و « والسلطان الشهيد » (تيبو سلطان(٢) ملك ميسور الشهيد) وسعيد حليم باشا ، وحمل حملة شعواء على اللورد كتشنر بلسان المهدى السودانى وأنبه على نبش قبره تأنيباً شديداً . وفى الديوان كلمة حكيمة حماسية من السودانى إلى ملوك العرب ، ابتدأها لسان الشاعر بقوله :

« فؤاد(٣) وفيصل وابن سعود » .

والتى قال فيها : « ذاك بطحا خالد ديكر بزاى »

ياليت أرض الحجاز أنجبت خالداً آخر .

وكذلك بلغ الشاعر حد الإعجاز فى تصوير الخيانة والغدر فى أبشع صورة ، حينما ذكر جعفراً(٤) وصادقاً(٥) ، وقال إنه رآهما مطروحين من وراء النار ، لأنها استنكفت من دخول الخائنين فيها . وأى بيت أبلغ فى ذم الخائنين من قوله فيهما :

جعفر از بنكال وصادق أزدكن ننك آدم ، ننك دين وطن

جعفر البنغالى وصـــادق الدكنى

كلاهما عارٌ للانسانية والدين والوطن

« يتبع » مسعود الندوى

---

(١) سماه باسم نجله « جاويد » سلمه الله ، وكان إذ ذاك صبياً . و « جاويد » كلمة فارسية معناها « الخالد » . فنى هذه التسمية تورية كما لا يخفى .

(٢) علم من أعلام الجهاد فى الهند الإسلامية ، وطود من أطواده الشامخة ، قتل شهيداً على باب حصنه وهو محاط بجنود الانجليز ، ويلقب فى التاريخ الإسلامى بالسلطان الشهيد.

(٣) « ال » معناه « يا »

(٤) الوزير جعفر ، كان وزيراً لصاحبه وولى أمره ، سراج الدولة فى بنغال ، نخانه وغدر به فى حرب « بلاسى » التى انكسرت فيها قوات سراج الدولة ؛ وكانت هذه الوقعة هى السبب الأعظم فى رسوخ قدم الإنجليز فى الهند ، فأصبح مضرب المثل فى الغدر والخيانة . أما سراج الدولة فيعده المسلمون والهنادك جميعاً بطلا من أبطال الحرية .

(٥) صادق هذا كان وزيراً للسلطان الشهيد الميسورى ، وقد خانه إذ أطلع الأعداء على مواضع الضعف فى الحصن . ودلهم على تدابير السلطان الشهيد الحربية الاستراتيجية — حسب تعبير أهل العصر — فكان سبباً فى انكسار السلطان وسقوطه فى معترك الجهاد ، وهو مثخن بالجروح ولا يزال قبر صادق معلوماً بجنب قبر السلطان الشهيد ، حيث يبصق عليه كل من يجىء لزيارة الشهيد والدعاء له وتسكاب دموعه على ضريحه .

عـــودة

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

إني رجعت وكل إحساس فؤاد شـيق
في جانبيَّ تلهف وبناظريَّ تشـوق
وعـلى المحيا بسمة بحنين قلبي تنطق
ويفيض من عيني هيام جامـح يتدفق
ويكاد قلبي بالتشوق والتوجـع يشرق
وأكاد من فرط الصبابة يا حياتي أصعق
هيهـات بعدك يا حبيبي فـرحة تتألق
مـذ غبت عني لم يزل قلبي بعهدك يخفق
وإلى ظـلالك يا حبيبي لم يزل يتشوق
واليوم وحدي قد رجعت على سماك أحلق

ورجعت لست بمبصر شيئاً ولـست بشاعر
تعتادني أوهام إحساسي وومض خواطري
ويهزني شـوق تدفق ثائراً بذوا كرى
وتسوقني أصـداء أيامي وعطر أزاهري
وتحيط بي ذكرُ العهود توثبت بمشاعري
فهنا تضرعُ عاشـق . وهنا تدلل ساحر
وهنا رماد الذكريات الزُّهرِ عفر ناظري
ورجعت ليتك قـد رجعت معي لعهد غابر
كانت لنا دنيا وكنت بهـا سعادة شاعر
واليوم وحـدي قد رجعت فيا لقلب سادر

في كل ركن ها هنا ذكرى تجن لمقدمي
وأكاد ألمس لفحها يجري ويصرخ في دمي
فبكل غصن كنت تبصره تلفت مغـرم
وبكل طـير كنت تسمعه حنين متيم
إني رجعت وفي دمي شوقي وشعري في فمي
وعبير ثغرك لم يزل يسري بعطر مبسمي
وحنانـك الدفاق غامرُ قلبيَ المتحطم
وسـنا عيونك رغم بعدك لم يزل كالأنجم
شقت دواكن وحدتي وسرت بقلب مظلم
فـكأنها الأمـل البعيد بدا بأفق مبهم

سل عن سهادي كل نجم في سمائك ساهر
الليـل يصحبني وأصحبه لوهم سـادر
وأبثه شـوقا بقلبي كاللهيب الساعر
ويلفني بسـكونه وألفه بمشاعري
وأحس بين نجومه طيفاً يفيء بخاطري
ويعيد أيامي ويغمر بالعبـير أزاهري
أنا واهم ياليـل ، رفقاً بالشريد الحائر
أنا واهم أحسو السراب بخاطري وبناظري
أنا واهم ، أنا واهم ، من لي بهـدي غامر
يلقي إلى قلبي الرجاء فلا تضل سرائري

أنا واهم . هل هذه الأطلال تعلم ما بيه ؟
أنا واهم . ثارت بقلبي ذكريات ضاريه
وطغى على عيني السراب وطوقتني الغاشيه
فحسبت أنك قد رجعت ، وأن روحك حانيه
يا ليت أني ما رجعت إلى ظـلالك ثانيه
لم ألق غير توجعي . لم ألق غـير الهاويه
لم ألق غـير عهودنا تبكي وتصرخ ناعيه
في مهجتي خدع الظنون على سرابك جاريه
وبناظري لجج التشوق نحو ظلك ساريه
وأنا هنا ... وظلال حبي في الفؤاد كما هيه

حسين محمود البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أسلحة من براغ :

نشرت إحدى الصحف الأسبوعية لمراسلها من براغ ، أن اللغة العامية المصرية وغيرها من اللغات العامية بالأقطار العربية — تدرس في كثير من جامعات العالم وفي جامعة براغ ، كما تدرس فيها اللغة العربية « الكلاسيكية » واسترعى انتباهي ما قصد إليه الكاتب من تعظيم شأن العامية على حساب الفصحى .. وخاصة قوله :

« ويعتقد كثير من أعلام المستشرقين الأوربيين أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة الفصحى وتحل محلها يوماً ما فتصدر الصحف وتطبع الكتب باللغة الدارجة التي يتكلمها الشعب وتبسط الكتب الدراسية وتنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية وحظها بعد أن تفرعت عنها اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية » .

وأنبه أولا على أن هذا الكلام من « براغ » عاصمة تشيكسلوفكيا أو العاصمة الصهيونية الثانية بعد تل أبيب . . . كأن لم يكفها إمداد اليهود في فلسطين بالأسلحة والعتاد الحربي لمحاربة العرب ، فأراد دعاة الصهيونية هناك أن يصوبوا سهماً إلى لغة العرب الجامعة بينهم ، لتتحقق أحلامهم في تفريق العرب ، فهذا حلم يبدو لهم جميلاً ، وأي شيء أجمل لديهم من أن تنهزم العربية وتتقهقر لتحل محلها اللغات العامية ، ولكل شعب من الشعوب العربية عاميته ، فيصدر بها الصحف ويؤلف الكتب ، فتنال اللغة العربية نصيب اللغة اللاتينية ، وتنحل رابطة اللغة بين أقطار العرب ؟ ...

وذلك من غير شك سهم طائش ، وليس هذا أول كلام قيل في هذا الموضوع ، فقد سبقته محاولات خائبة ، تتحد معه في الغاية والمرمى ، وإن كان لكل منها مصدره وباعثه . . . فالغاية أن تنمحي اللغة العربية وتتفرع عنها لغات كالإيطالية والفرنسية ... الخ ، والبواعث شتى ، فمن أعجمي لا يبين ، ومن عاي يريد أن يكون شيئاً ، ومن متظاهر بالتقدمية الحمقاء ، ومن شاعر في أحشائه بلذعة الفلفل من العروبة . . . فيتبرد مرة بالفرعونية ، ويتذرع أحياناً بالعامية ... ثم جاءت الصهيونية في آخر الزمن تريد أن تساهم في هذه الخيبة ..

ولا شك في حسن نية الصحيفة التي نشرت ذلك الكلام أو — على التدقيق — في غفلتها . . . وكان عليها أن تنتبه له ولبعض العاملين في تحريرها من ذوي المحاولات القديمة الخائبة .

ومن يدري فقد يغزو صحفاً أخرى مراسلون من براغ ..

ولتدرس جامعة براغ أو أي جامعة أخرى ما تدرس ، وليتعلم بها العامية نفر من أبناء بلادها أو غيرهم ، فهل هؤلاء هم الذين سيصدرون الصحف ويؤلفون الكتب باللغة الدارجة المصرية ويكتسحون ويفرعون ؟ . ثم من هم المستشرقون الذين يعتقدون أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة العربية الفصحى .. الخ ؟ لم يذكر لنا الكاتب اسم واحد منهم ، وأكبر الظن أن هؤلاء الذين سماهم « أعلام المستشرقين الأوربيين » إما أنهم صهيونيون وإما أنهم أشباح تمثل أحلام ذوي المحاولات الخائبة والسهام الطائشة .

وبعد فكيف تنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية ؟ لقد تفرعت اللغات الأوربية الحديثة عن اللاتينية القديمة مع النهضة التي قامت اللغات الجديدة بأعبائها ، وكانت مظهراً من مظاهرها ، وهذا يختلف عن حال اللغة العربية كل الاختلاف ، إذ وسعت اللغة الفصحى النهضة العربية الحديثة واستقلت بها ، فهي لغة الآداب العصرية ولغة الكتابة والتأليف في سائر الفنون والعلوم ، أي أنها واجهت النهضة وقامت بأغراضها وعبرت عنها وأصبحت لغتها وانتهى الأمر ، فلم تخلى مكانها لتحل محلها لغات متفرعة ؟ أمن أجل سواد عيون الوعول التي تكسرت قرونها .. أم لتحقيق أحلام الصهيونية في تمزيق الأمة العربية ؟

عزيزتى الآنسة أم كلثوم :

قرأت فى أخبار اليوم أن محطة الإذاعة يتجه تفكيرها إلى الاتفاق معك على أن تدفع لك ألف جنيه فى الشهر مقابل إذاعة أغنياتك المسجلة حسبما ترغب ، بدلا من أن تدفع خمسين جنيهاً عن إذاعة كل مسجل من هذه الأغانى .

ولم أتبين مقصد الإذاعة من ذلك ، أهى تريد الاقتصاد ... لأن عدد إذاعة المسجلات فى الشهر مضروباً فى خمسين جنيهاً يساوى أكثر من ألف جنيه ... أم أن حاصل الضرب أقل من ذلك وتريد زيادة التقدير أو تلبية رغبة فى الزيادة ؟.

والواقع على أى حال أنها تدفع لك مبلغاً كبيراً لا يقل كثيراً عن الألف فى الشهر مقابل أغنيات أخذت ثمن كل منها ثلاثمائة جنيه عند التسجيل .

وأنت تستحقين كل خير ، وفنك الغالى لا يقدر بمال . ولكن محطة الإذاعة ... محطة الإذاعة مسكينة (غلبانة) أعنى هؤلاء الفنانين والفنانات الذين يأخذ أحدهم مقابل الحفلة الغنائية خمسة عشر جنيهاً يقاسمه فيها أفراد (التخت) والمؤلف ، وأعنى الذين لا تعطيهم المحطة أجراً على إذاعة مسجلاتهم كما تصنع معك وحدك ، وأعنى الذين تضيق بهم المحطة ورجالها وإن كانوا ممتازين فى فنهم ، وأعنى كل فكرة أو مشروع إذاعى نافع يقف فى سبيله ضيق الميزانية ، ثم أعنى هؤلاء الذين يسعون لإرضائك ويرضخون لقوة شخصيتك . فارحمى كل أولئك المساكين وكونى عادلة مقتصدة فى معاملة الإذاعة ، عامليها مثلا كشركة (بيضافون) التى كانت تعطيك ثمن التسجيل ، ثم تبيع (الاسطوانات) ولا يدفع إليك كل من يدير (اسطوانة) فى (الفنغراف) أى شىء .

يا كروان الشرق ، إن كنت تريدين المال فبعض هذا يكفى ، وإن كنت تريدين إعلاء الفن فلست فى حاجة إلى إعلائه ؟ فقد أعليته حتى بلغت به سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم .. واعلمى أنك من الأعلام الخالدين وأنك لا تقلين إن لم تزيدى عمن خلدهن أبو الفرج فى « الأغانى » مع الفارق الذى به تفوقينهن ، من حيث ما أضفاه عليك روح العصر من استقلال الشخصية والكرامة العامة .

فأسألك بالله وبحق الفن ، أن ترأفى بحال الإذاعة ، فهى لك مطواعة ، وتبذل من أجلك ما فوق الاستطاعة ، وغيرك لا ينال إلا بالشفاعة . وتفضلى بقبول تحيتى واحترامى .

« حسونة » الإنسان :

هو ذلك الشاب الأعرج بياع الصحف الذى ظهر فى فلم « اليتيمتين » إنساناً ينبض قلبه بالعطف والحب والخير ، برغم سوء بيئته ورقة حاله . يرى فتاة ضريرة ضالة فيشفق عليها . وتقع هى فريسة فى يد أمه الشريرة الضارية ، فتستغلها فى بيع ورق « اليانصيب » وتعاملها بقسوة ووحشية ، فيتألم لها حسونة أشد الألم ويبذل وسعه فى التخفيف عنها ومقاومة أمه وأخيه الذى يعاونها على قسوتها ، حتى يستطيع آخر الأمر أن ينقذها من براثنهما . وكم كان مشهده رائعاً وهو يحضر لها ما يقدر عليه من الطعام ويهيىء لها شيئاً من الفراش ويصنع لها على السلم درابزيناً لتتحسسه وليقيها السقوط فى صعودها وهبوطها . كان حسونة فى هذا الفلم نبضة إنسانية رائعة ، من النبضات التى تخلد الفنون ، وهو مثل ينبغى أن ينظر فيه السينميون المصريون ليروا كيف يمكن أن تكون السينما فناً رفيعاً لا مجرد استعراض للتهتك الذى يتخلله الوعظ المكشوف .

وفلم اليتيمتين الذى عرض بسينما الكوزمو ، لم يذكر له مؤلف ، وأكبر الظن أنه مقتبس ممصر ، من تلك الأفلام التى تنسب إلى المخرج فقط ، وإن كانت حادثته تبدأ بلقيطة وتنتهى بلقاء الوالدة وابنتها بعد ما كبرت وجرت عليها حوادث القصة ، فهذا قالب من القوالب المعروفة التى يتكرر صب القصة فى كل منها بالأفلام المصرية ؛ فإن كان هذا الفلم ممصراً فقد أجيد تمصيره حتى بدت فيه ملامح البيئة المحلية وقوامها كأنه مصنوع على قدها ... أما إن كانت القصة إنشاء مصرياً فمن هو المؤلف الفنان الذى أبدع حسونة الإنسان ؟ .

مؤامرة نفرين تتكرر :

ألقى البكباشى عبد الرحمن زكى محاضرة يوم السبت الماضى بنادى الاتحاد الثقافى المصرى ، عن ابراهيم باشا فى تاريخ مصر الحربى ، فبين مزايا البطل العظيم فى الناحية العسكرية بإلقاء

نظرات على ميادين القتال التي خاضها ، وعرض لحلته على المورة وبلاد الأسطول المصرى فى مياهها ، فقال إن الجيش المصرى كان يحارب فى بلاد المورة أوربا كلها التى كانت تمد اليونانيين بالرجال والأسلحة والعتاد ، وانتهزت انجلترا وفرنسا وروسيا فرصة انشغال ابراهيم باشا بتنظيم الجيش البرى وتآمرت على السفن المصرية فكانت موقعة نفرين المشهورة التى كانت فى الحقيقة مؤامرة ولم تكن موقعة ، لأن أساطيل هذه الدول أخذت الأسطول المصرى والتركى على غرة .

والواقع أن موقعة نفرين حادث من الأحداث التى بدا فيها التعصب الغربى ضد الشرق ، ومن قبلها الحروب الصليبية ، ومن بعدها معارك فلسطين الجارية ، فالغرب فى القرون الوسطى هو الغرب فى القرن التاسع عشر ، وهو هو فى القرن العشرين ؟ وهو بعد الذى يرمى الشرق بالتعصب ..

عوائق الفكر المصرى :

قال الأستاذ إبراهيم المصرى فى مقال بالعدد الخاص بعيد الجهاد من أخبار اليوم : « إن هناك ثلاثة أخطار تهدد مستقبل الفكر المصرى هى : إغراء السهولة ، وصمت النقد ، ونقص الحرية » ثم فصل ذلك بقوله إن الكاتب قد شعر بقوة الصحافة فأصبح لا يحفل فى الغالب بالفكر المتئد الناضج العميق ، قدر احتفاله بالفكر البسيط السهل يذيعه فى مختلف الصحف ويتقاضى عليه أجراً كبير لا يكلفه طويل عناء . والفكر لا ينهض بدون نقد ، وظل النقد قد تقلص اليوم فى مصر ، فمعظم الصحف والمجلات تشير إلى الكتب الجديدة دون أن تبحثها وتحدد قيمتها وقيمة أصحابها ، وحرية الفكر المصرى ما تزال مقيدة ، فهو إن مس التقاليد سخط عليه المحافظون ، وإن بحث فى العقائد نقم عليه الرجعيون ، وإن نقد نظام المجتمع ثار عليه البيروقراطيون واستبدوا به واضطهدوه شر اضطهاد .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث :

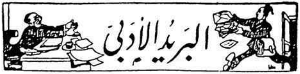
يشرف « الاتحاد الأممى للمجامع العلمية » على إصدار « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين من مختلف الأقطار يبلغ عددهم اثنين وأربعين مستشرقا ، وتولى الدكتور ا . ى . ونسنك طبعه بمطبعة بريل فى مدينة ليدن بهولندة ، ونشر منه أحد عشر فصلا يحتوى كل منها على تسعين صفحة من أكبر قطع ، وبعد وفاته استأنف العمل الدكتور ى . ب . منسنج فوصل إلى الفصل السابع عشر .

وهذا المعجم موضوع عن كتب الحديث الستة المعروفة وثلاثة أخرى هى مسند الدارى وموطأ ابن مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وطريقته وضع جزازة لكل نقطة من ألفاظ الحديث الواردة فى هذه الكتب التسعة ضمن الجملة التى هى فيها ، ثم الدلالة على موقع هذه اللفظة من هذه الأصول التسعة بتوضيح إسم الأصل ثم إسم الكتاب ورقم الباب أو رقم الحديث سواء أكانت هذه اللفظة فى أصل واحد أو أكثر . أما فيما يختص بمسند أحمد فبما أنه لم يطبع إلا طبعة واحدة ، ففيه الدلالة على الحديث بتعيين رقم الجزء ورقم الصفحة .

وقد وصل العمل فى آخر جزء ظهر إلى مادة صبر من حرف ص . ويقدر إتمام المعجم فى مثل ما ظهر من الأجزاء أى نحو سبعة عشر جزءاً أخرى . وقد احتاج المشرفون عليه إلى إعانة مالية تمكنهم من مواصلة العمل ، فجاء الدكتور منسنج إلى مصر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وقابل فيمن قابل معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بقصد أن يرعى هذا العمل وعده بالإعانة ، ثم سافر بغتة دون أن يتم الاتفاق ولما افتتح المجمع مؤتمره السنوى فى أول هذا العام ذكر لطفى باشا فى جلسة الافتتاح أن من ضمن أعمال المجمع القيام بعمل المعجم المفهرس للقرآن وللحديث . وعلى أثر ذلك تحدث معه الأستاذ فؤاد عبد الباقى ، فأشار إلى أن الأولى بالمجمع أن يعين على إتمام معجم المستشرقين بدل أن يتكلف إنشاء العمل ، فطلب منه الباشا أن يكتب إلى المشرفين عليه ليبينوا ما يلزم لإتمام طبع المعجم وما يحتاج إليه العمل من المال سنويا ونصيب مصر مقابل الاتفاق على طبعه ، فكتب ، ولم يرد الرد المطلوب إلى الآن .

وفى انتظار الرد أحيل الموضوع إلى مكتب المجمع ، فاعتذر بعدم كفاية الميزانية للقيام بالإعانة المطلوبة ، ولكنه كتب إلى وزارة المعارف والجامعتين والجامع الأزهر ، مقترحا على كل منها شراء عدة نسخ من الأجزاء الصادرة على سبيل التشجيع ، وكل ما تم من الإجراءات الإيجابية العملية فى هذا الموضوع هو قرار الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف شراء خمسين نسخة .

عباس خضر



سئلت ولم أجب فلا بد أن أعترف :

سألتني ياسيدي عما يوجبه الشرع في زكاة في مالك — وقد كثر عدده وطال أمده — فلم أجبك وسكت وفي نفسي من الخجل والخزي ما الله يعلمه . نعم سكت ولم أجبك ؛ وكيف أجيبك عن زكاة مالك ولا عهد لي بجنيهاتك في كتب الزكاة — لقد درست المتون والشروح والحواشي حنفيها وشافعيها ، وعرفت (الدرهم والدينار والدانق والمثقال ، وعرفت حكم الرائجة والصحاح ، والنبهرجة والستوقة) ولا تبحث عن هذه النقود عبثاً يا سيدي فهي لا توجد في غير خزائن الأزهر ، أعني في مقصوراته ومطولاته التي حملتها معي من مكتبة جدي الأكبر يوم أن دخلت الأزهر وما زلت أقرأها كتباً مقررة إلى الآن .

أما أوراقك الخضر ، فلا تسلني كم نصابها وكم زكاتها ؛ ولا لوم علي ولا تثريب .

— أنا واحد من آلاف طلاب الأزهر ، ندرس الدين في أسفار أجدادنا الأقدمين كما حملت إلينا بدون تهذيب ولا تنقيح وبدون احترام لشريعة الرقي والتطور . أين نقود فجر الإسلام التي نحسب نصابها ونعدد زكاتها — وقد صارت في جوف التاريخ — من نقود عصرنا الحاضر التي لم يرسم قرش منها في كتاب لدينا .

— ويحي ما أحمقني ! أقضي سنين طويلة في الأزهر ، أجهد فيها ما أجهد ، من أجل دراسة آثار بالية لا تنفع ولا تشبع ! ؟

أجل . كتب الفقه في الأزهر ملأى بمسائل باهتة رثة ، تحتاج إلى تنقيح وتوضيح . انشر أي كتاب من كتب الشافعية ، وتجلد في مطالعته بعض الوقت فإنك لا بد قارئ : (وكثير الماء قلتان ، والقلتان خمسمائة رطل بغدادي تقريباً في الأصح) ثم يتكرم الشارح ببيان هذا الرطل البغدادي فيقول (والرطل البغدادي مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم تقريباً) وما درى غفر الله له أنه فسر الماء بالماء كما يقولون ، وسواء أدركت مقدار الماء الكثير أم لم تدرك ، فحسبنا هذا الخيال البارع : قلة تزن مائتين وخمسين رطلاً ! !

وكتاب العتق ؛ الكتاب الأسود — كما يسميه بعض إخواننا — ما قيمة دراسته في هذا الزمان وجعله خاتمة كتب الشافعية ؟ أليست خاتمة بيضاء ؟ ذكروا فيه (أن الشارع متشوف إلى العتق) وقد عتق العبيد بحمد الله ولم يبق منهم واحد إلا في كتبنا وأدمغتنا كأنا لم نعرف بعد أن أحط صنوف البشر قد أصبحت أحراراً طلقاء ؛ أو كأنا نرجو أن يبعث الشارع (المتشوف إلى العتق) دولة العبيد ثانية فنطبق عليها الأحكام .

وبعد . فتلك ثورة هادئة أرجو بعدها الله أن يوفق أولي الشأن في الأزهر إلى تطهير موارد العلم وتنقيتها من القذى والفضول وذلك أمر سهل إن كانوا جد حريصين على تأدية رسالة الأزهر بصدق وإخلاص . وكم في الأزهر من جهبذ نحرير يعوزه التشجيع والتعضيد ليخرج للناس آيات بينات في التصنيف والتأليف .

اسماعيل أبو ضيف

في كتاب (النقد الأدبي) :

قرأت للصديق الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب كتابه الجديد في النقد (النقد الأدبي) ولا أغلو إذا قلت إنه كتاب فريد في بابه وأسلوبه وطريقته في تناول موضوعاته وعرضها عرضاً كله الروية والاتزان وحسن البيان .

وليس غرضي من كلمتي هذه حول الكتاب البحث في محتوياته وبيان قيمته — تلك التي لا يلمسها إلا القارئ قراءة العين لا سماع الأذن — وإنما بحسبي أن أشير وألفت الأستاذ الصديق إلى مواضع زايلها الصواب نتيجة التطبيع أو التصنيع ، أجملها فيما يلي :

١ — من التطبيع ما جاء في قول القائل :

فأصبحت في الإثراء أزهد (زاهداً)
وإن كنت في الإثراء أرغب راغب
ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ومن أين؟ (الغايات) بعد المذاهب

والتطبيع فيهما ظاهر ؛ والأصل (زاهد) وفي الثاني (والغايات) بالواو .

٢ — ومن خطأ النقل نتيجة السهو قول من قال :

وسنان (أيقظه) النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وصوابه :

وسنان (أقصده) (١) النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

وكذلك قول الآخر :

وأرشفنا على ظمإ زلالاً ألذ من المدامة (والنديم) !

وصوابه :

وأرشفنا على ظمإ زلالاً ألذُّ من المدامة (للنديم)

وقول الثالث :

يقول بشعب بوان حصاني (أمن) هذا يسار إلى الطعان ؟!

وصوابه :

يقول بشعب بوان حصاني (أعن) هذا يسار إلى الطعان ؟!

إذ ليس مراد الشاعر السير (من) محلة إلى محلة ، وإنما غرضه (التحول) عن شعب بوان إلى الطعان .

٤ — بيت ابن ارقاع :

وعلمت حتى (لست أسأل عالماً) عن (حرف) واحدة لكي أزدادها

روايتها عندي وهي الرواية الثابتة المقبولة :

وعلمت حتى (ما أسائل واحدا) عن (علم) واحدة لكي أزدادها

وكذا البيت :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف « يلتقيان »

وفي الأصل وهو الصواب على قرب الملتقى :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف « يجتمعان »

٥ — وقع في البيت :

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم .. ليست تزول

تطبيع بالحذف ، وصوابه :

... ... أن نجوم (الليل) ليست تزول

٦ — وهذان البيتان كل على حدة :

وغر الصدور إذا (وكنت) لهم نظروا إليَّ بأعين خزر
ذكر الصبوح بسحرة فارتاعا وأمله ديك الصباح (صياحا)

أحفظ لهما في صدري روايتين لست أزعم أنهما الأصل ، ولكنهما يحتاجان إلى تحقيق ومناقشة للجزم بصواب الأصل أيا كان ، والروايتان هما :

وغر الصدور إذا (ركنت) لهم نظروا إلى بأعين خزر
ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصياح (فصاحا)

٧ — أورد الأستاذ المؤلف عن صاحب الوساطة لأبي تمام البيت :

ألم يقنعك فيه الهجر حتى (بكات) لقلبه هجراً يبين

(١) أقصده : أي أصابه فلم يخطئه

ثم قال « يقول الشارح إنه لم يعرف لهذه اللفظة (بكات) معنى ولم يجدها في ديوان أبي تمام ولم نجدها نحن ! » . وأقول يغلب على الظن أن تصحيفاً لحق باللفظة فأخرجها عن المعنى ، ولعل الأصل (وكات) إن لم يكن « تكات » .

وبعد : فتلكم هنات عرضت لنا وألمحنا إليها مذكرين وليس منتقدين . ولعل الصديق الأديب يوليها بعض الاهتمام في الطبعات التالية للكتاب ، والسلام .

« الزيتون » عرناله

عود على بدء :

كنت قد أشرت في كلمتي « تحقيق تاريخي » المنشورة في عدد قريب من « الرسالة » الغراء إلى مرثية شاعر النيل حافظ بك إبراهيم في فقيد المعارف أحمد حشمت باشا ، وقلت إنها من الشعر الذي لم يسجل في ديوانه المبتور ! !

ولقد حدثني بعض الأدباء متعجباً لخلو الديوان من هذه القصيدة الفذة وما درى أن في باب المراثي وحده قصائد عديدة لشاعر النيل لم تسطر في ديوانه ، ومن العجيب أن الذين ملأوا الصفحات بذكر شعره المنسي لم يقفوا عليها فيما رأوه ، وأهم هذه القصائد ما يلي :

١ — قصيدة في رثاء السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ومطلعها :

رحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أحرج الأوقات

٢ — رثاء شهداء العلم والغربة الذين اصطدم بهم القطار في أوربا ومطلعه :

علمونا الصبر نطفي ما استعر إنما الأجر لمحزون صبر
صدمة في الغرب أمسى وقعها في ربوع النيل مشئوم الأثر

٣ — رثاء كريمة حشمت باشا ومطلعه :

يادرة نزعت من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان

وغير ذلك كثير !

على أني أعجب كل العجب من أن الديوان قد أعيد طبعه عدة مرات وهو لا يضم قصيدة من القصائد المنسية التي يكتشفها القراء بين حين وآخر ! فما فائدة التنبيه على الشعر المنسي إذن ؟ ولم لا يلتفت إليه القائمون بإعادة طبعات الديوان ؟ وهل كان حتم عليهم أن يحافظوا على طبعته الأولى فلا تلحق بها يكملها من روائع حافظ المغبون ؟ !

« الزقازيق » إبراهيم عبد المجيد النزري

المصحف المبوب :

قرأت ما كتبه أستاذى الجليل عبد المتعال الصعيدى عن المصحف المبوب وقد صدر فضيلته مقاله بقوله :

« عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء، وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع العصر أثراً فى مصحفنا » .

فهل يسمح لى فضيلته — وهو من نعلم عنه سمة فى الصدر — أن أقول له : إن من الخير لنا أن نترك المصحف الشريف على حالته ، وأن لا تمتد إليه أيدينا بشىء من التغيير فى الطبع والإخراج — وإذا كان ذلك قد جاز لسلفنا الصالح فلأن مصلحة القرآن كانت تقتضى ذلك إذ كان مفرقاً فجمعوه . ومهملا فأعجموه . واخترع الخليل الشكل للحاجة إليه . ونحن اليوم نقرؤه صحيحاً فى طبعات جيدة أنيقة .

أقول هذا لأنى أود أن يشعر المسلمون بأن كتابهم مقدس وليس عرضة لشكل مبتكر ؛ إذ من الجائز أن يختلف الترتيب والتبويب فيظهر المصحف فى عدة طبعات ؛ فإذا بوبه اليوم فلان فسيبوبه غداً غيره . فيقولون قرآن فلان ، ومصحف فلان وتكون فتنة . ويتبع ذلك أن يقول قائل فلنكتبه على الرسم الإملائى وكلما تفلسف شخص أضاف فكرة جديدة ما دمنا قد فتحنا هذا الباب .

فخير لنا أن نترك الكتاب الكريم ، وأن نولى وجهنا شطر تعاليمه ، فنجاهد فى سبيل تحقيقها ونعمل على نشرها والدعوة إليها فى كل مكان ، وأن نعتنى باللب ونترك القشور ، وإن الله لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى الأعمال . وما يضر المسلمين بعد أن يحققوا رسالة كتابهم أن يكون على ما هو عليه ؟

وإذ تنطع مستشرق وفهم خطأ فالذنب ذنبه فأمامه كتب التفسير إن جهل شيئاً .

وبعد فأود أن لا أكون قد جاوزت حدى مع أستاذى الكبير .

عمر إسماعيل منصور

أزمة معلم اللغة العربية فى المدارس المصرية :

تفيض جداول الصحف اليومية بأن هذه الأزمة بلغت حداً لا يصح أن يسكت عنه ، لا من المسئولين فحسب بل من ذوى الرأى فى العالم العربى ؛ إذ أنها تتصل بلغته وهى ميراث الآباء والأجداد ! فقد روت إحداها بقلم مدرس رمز إلى اسمه بالحروف أن أربعة فصول ثانوية بإحدى مدارس الشرقية لها معلم عربى واحد مما اضطر ناظرها إلى أن يشرك معه فى تعليمها مدرسى (الأعجمية) من الرياضة وغيرها ! وأنا كمعلم أعرف أن من مضاعفات هذه الأزمة إن لم يكن عاملها الأول هو سلخ وزارة المعارف تفتيش مكافحة أقسام الأمية عن تفتيش التعليم الأولى بالمراكز وتعيين معلمى العربية بالمدارس مفتشين خاصين بها ! وفى وسع هذه الوزارة أن تعمد فى الحال وبدون إمهال إلى أن تعيد هؤلاء إلى عملهم الأصلى فى المدارس وأن تسند تفتيش المكافحة إلى (المعلم الأولى) فهو بمرانه وتجاربه العملية أكثر خبرة فى هذه الناحية من أى موظف آخر مهما تكن ثقافته العلمية والفنية ... وعندها إن أرادت الوسائل الكفيلة بتهيئة هـذا المعلم لواجبه الجديد بالدراسات والاختبارات الشخصية والرسائل الفنية ... (ومجلة الرسالة) الحفيظة على تراث العربيـة المجاهدة فى سبيل نهضتها وإعلاء شأنها مسئولة إلى حد كبير إذا لم تلق دلوها لتفريج هذه الأزمة وإزالة تلك الغمة ! !

خورشيد عبد العزيز
معلم دميرة

بيان :

تود الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للدول العربية أن تلفت الأنظار إلى أن مسابقة التأليف التى سبق الاعلان عنها فى مطلع هذا العام ، والتى اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث فى بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمـة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان المغرب - جزيرة العرب) من سقوط بغداد إلى أول القرن الهجرى (التاسع عشر الميلادى) .

وقدر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصرى جائزة لأحسن ما يكتب فى كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيها إلى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلا من الوعد المحدد سابقاً وهو أول مايو سنة ١٩٤٨ .



رجـــــل وامرأة

للكاتب الفرنسى لوى جربيو

« هذه ليست قصة بالمعنى المقصود منها ، ولكنها صورة صادقة من صورة الحياة المعقدة التى نجدها فى كل بقعة من بقاع العالم وفى كل زمان من أزمنته »

(المترجم)

كان الدرج يؤدى إلى الفناء ، وقد جلست المرأة بأسفله تبكى وتنتحب طول الصباح . كانت فى منتصف العقد الرابع من عمرها سمراء ممشوقة القد ضعيفة البنية ، وظلت تنشج بالبكاء ، وتتمتم بكلمات مبهمة كأنها تتوعد من حولها . وكم ذهب إليها الجيران يحاولون الترفيه عنها وإرشادها إلى عين العقل دون جدوى . كانوا يقولون لها : لا يصح أن تثورى كل هـذه الثورة . من الأفضـل لك أن تصعدى إلى شقتك . إنك ستصدعين رأسك ببكائك المتواصل . وهل يجدى البكاء ؟ » ولكنها كانت تجلس وكأنها لا تعى كلامهم . ما شأنهم فى ذلك ؟ أليست هى حرة تفعل ما تشاء ؟ وصاحت فى أعماق نفسها « لقد سئمت كل شىء »

وكانت أحياناً ترتكن برأسها على السور الحـديدى للدرج تحاول النوم دون جدوى . ثم تخفى وجهها بين يديها وتبكى فى حرارة ، فيسيل الدمع من بين أصابعها كما يسيل المـاء من نبع لا ينضب . وتأوهت ، ثم انتابتها موجة من الصمت وهى تتلفت حولها بلا غاية . وأخيراً جلست دون حراك وقد ارتكن ذقنها على راحة يدها ، ومرفقها على ركبتها فى ذلك الوضع الذى يفضله الرجل عندما يؤوب من عمله . أن هذا أول ناحية من نواحى انتقامها . لقد طافت بها الأفكار منذ أن بدأ الشجار إلى أن تحول هـذا التحول على أية حال ، ليس لديها الآن إلا التفكير فيما قد حدث.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى لجأت فيها إلى الدرج . كم كان ذلك يغضبه أشد الغضب . ولـكن ... أليس هـذا ما توده هى ؟.. ولماذا توده ؟.. لم تستطع الإجابة على هذا السؤال . لقد كان من المستحيل عليها أن تقوم بأى عمل آخر ، فالتجأت إلى الدرج . إنه بالطبع يسـتطيع أن يهددها بأن يعتدى عليها بالضرب . ولـكنها كانت واثقة بأنه لن ينفذ تهديداته التى تصدر منه أثناء غضبه . فمهما فعلت فإنه لن يهجرها أبداً . لعل هذا هو السبب فى أنها تزداد تهوراً .

كان الناس يصعدون ويهبطون ويعرون أمامها ، فيلقون عليها نظرة إشفاق ، أو يرنون إليها فى دهشة ، أو يهزون أكتافهم . وكانت تتظاهر بعدم رؤيتهم ، ولا تتحرك ، حتى لو اندفع شخص نحوها وتخطاها ، ولطم إحدى يديها ، لظلت ساكنة دون أن تتحرك . ولعلها كانت تود ذلك . قالوا لها إنه قد أزف الوقت لتعود إلى شقتها ، فلم تجب ، ولماذا تعود ؟ وهـل جلست هنا لتجيب على مثل هـذه الأسئلة ؟ وهل مكثت لتكون موضع شفقتهم ؟ . . كلا ... إن شفقتهم لا تعنيها فى شىء . لقد جلست هنا ليشاهدوها ، وليعرفوا كيف أوصلها هو إلى هذه الحالة ، وأى نوع من الحياة تحياها ، وحتى يعرف هو الآخر أنهم قد شاهدوا وأدركوا حالها . نعم أن هذا هو ما ترغبه الآن ... على الأقل . أنه أول جزء من برنامج انتقامها . وكانت فى كل مرة يتحدثون معها ، تجيبهم باطلاق العنان لعبراتها وهى تحاول أن تجد موضعاً مريحاً تسند عليه « رأسها المسكين » بشعره المهوش الذى لم تهتم حتى بترتيبه .

كان الشجار قد بدأ مبكراً ، ولم تمر الساعة الثامنة إلا وكانت على الدرج . ولن تبرح مكانها فإنه لا يوجد ما يؤدى بها إلى التفكير فى مبارحته . ها هو ذا الظهر قد أقبل ، وسيعود هو بعد لحظات . ما الذى سيقوله لها ؟ لعله سيحدث ما حـدث فى المرة السابقة ، فيمر عليها دون أن يعيرها انتباهه . ولـكنه لن يظل وحيداً فى الشقة أنه لم يحتمل هذه الوحدة — آخر مرة — أكثر من ربع ساعة ثم عاد يبحث عنها . ومما لا شك فيه أن ذلك سيحدث ثانية .

لقد تركها والغضب يعصف به ، وصفق الباب وهو يقسم أن هذه هى المرة الأخيرة ... المرة الأخيرة . أنه لا يستطيع احتمال

هذا السلك الجنونى . ولكنه سيجد عندما يصل إلى مقر عمله من فسيح ما يسمح له بالهدوء والتفكير فى تؤدة .

وفتح باب الفناء ، وميزت وقع أقدامه . ولم تتحرك عضلة من عضلات جسمها ، وانقلب كل شيء فيها ساكناً ، وقد تركز كل كيانها فى الاستماع إلى وقع خطواته ، وبدت كأنها لا تشعر بما يدور حولها . واقتربت الخطوات . سرعان ما ستراه . ولكنها ظلت دون حراك وقد ارتكن رأسها على سور الدرج . وأغمضت عينيها نصف إغماضة وهى تنتظر . وكاد أن يتعثر فوقها ، وعرته دهشة بالغة ، ثم تراجع وهو يحاول أن يستعيد رباطة جاشه وقد أغمض عينيه كان رجلا بدينا فى الحلقة الرابعة من العمر ، يرتدى زى الكتبة ، وقد أمسك بمظلة .

وتمتم قائلا فى صوت خال من الغضب — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجبه وابتدأ القلق يساوره ، وغاض الدم من وجهه ، وارتجفت اليدان وهما تقبضان على المظلة . ثم اكتسحه شعور من الضعة لا نهائى وإحساس بالاحتقار لاحد له . ووقف دون حراك بجوار المدخل . كان الضوء يسقط عليه من الخارج ، فلم تستطع تمييز ملامحه . وظهر لها كأنه شبح بدين يحمل مظلة . ثم ردد فى صوت خافت وكأنه يتحدث إلى طفل — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجب . لا بد أنها مكثت هنا ساعات . وهز كتفيه . إذن لا توجد نهاية لذلك . وجعل يفكر فى شجارهما هذا الصباح ، ويلوم نفسه ... ولكنه كان يأمل .

— أتعتزمين البقاء هنا ؟ فلم تجب . وكانت لهجته تنذر بانفجار بركان غضبه . وكان يلاحظ ما يختلج فى نفسه من عواطف ثائرة ، ويعرف أن غضبه ينهكه ، فقال — هيا ... دعينا نصعد إنه لغباء ...

وولدت كلمة « الغباء » فى عينيه نظرة من الشراسة . وتنهد فى حزن وقال : « يالها من حياة ! كل ذلك لأجل ماذا ؟ » وجعل يتفحصها بنظراته بأمان . وكأنما عزم أن يعمل ما فى وسعه ليحل المشكلة فهز رأسه يمنة ويسرة ثم قال — حسن ... ماذا ؟ ما الأمر ؟ ولم يكن هذا مايود أن يقوله ، ومع ذلك سيان عنده أقال ما قاله أو تفوه بشيء خلافه . وابتدأ يصعد الدرج . ولكنه سرعان ما استدار فجأة وصاح فى صوت جفلت منه : « والطفلة ؟ »

وانحنى فوقها ، وشعرت بأنفاسه تهب على شعرها . الطفلة ؟ ! لم تكن قد أعارتها أدنى اهتمام . إن نسيانها الطفلة كان ولا شك جزءاً من انتقامها . ومع ذلك شعرت بالقلق يستحوذ عليها .

— ما الذى فعلته بالطفلة ؟

وخيل إليها أنه سيهم بضربها ، ولكنها كانت قد صممت على ألا ترد عليه . ثم شعرت برأسها يدور . إنها حقاً لم تهتم بالطفلة .

— أجيبى ! ها هو ذا قد انفلت منه زمام غضبه . ونزل الدرج ، ثم وقف أمامها ، وأسند مظلته على الحائط ، ومد يده تتلمس طريقها إلى وجهها التى تخفيه . ثم قال فى صوت هادىء — متى ، متى ستكفين عن تعذيبى ؟ متى ... متى — أواه ، يا إلهى ؟ ...

كانت ثورة نفسه لا تحتمل . وعادت به الذاكرة فجأة إلى الليلة التى هربت فيها . تلك الليلة التى ظل يبحث عنها طويلا وهو يخشى أن تكون قد ألقت بنفسها فى النهر ...

— تكلمى ! ووضع يده على ذقنها ، فلم تقاوم ، ورفع وجهها . وطغى على نفسه شعور من الشفقة ، فقال لها — لماذا أنت هكذا ؟ وابتدأت شفتاها ترتعشان ، وارتفع كتفاها ، وتمتمت بكلمات تعذر عليه سماعها فسألها — ماذا تقولين ؟

فأجابت — لا شيء .

وفجأة تغير كل شيء ، فقال — لا شيء ! حقاً ؟ إذن لماذا ؟ لماذا ؟ ألا تخبريننى بالله لماذا ؟ ما الذى تقصدينه بما حدث فى الصباح ؟ وما الذى فعلته بالطفلة ؟ لقد كنت عازمة على ذلك منذ الصباح .

وهزها وهو يصيح بعد أن عصف به غضبه ، وقد كان يظن أنه ملك زمامه . إن هذه الانفجارات ، وهذه التأسفات : هذا التحول من الشفقة والحنان إلى القسوة والشراسة التى تصحب دائماً مشاجراتهما ، كانت كأنها تمثيل مسرحى . وكم كانت تهده هدأ وتستنفد قواه . ها هو ذا قد جرح شعورها ، فهبت واقفة ، تبتعد عنه وهى تصيح « أيها الوحش ! » .

وصاح صوت من أعلى الدرج قائلا — إن الطفلة معنا . لا داعى للقلق . سنعطيها غذاءها .

ولم يجب فى الحال على الرغم من شعوره بالطمأنينة . إن فكرة وجود جيرانه واقفين بأعلى الدرج يستمعون ويراقبون . هدأت من غضبه . قالوا — ألا تسمع ؟

فصاح — لقد سمعت ... شكراً !

وبحركة آلية التقط مظلته وهو يتمتم قائلا — « لقد عيل صبرى ، عيل صبرى ! » فالتفتت إليه زوجه بوجه متقلص وعينين جامدتين وقالت فى صوت مختنق ورأسها يهتز « عيل صبرك ، عيل صبرك ، ممن ؟ » وكأنه قد عزم على الصمت ، فظل ساكناً لا يفوه بكلمة .

— حسن ، إنى فى انتظار ردك .

فقال — لقد سئمت الشجار .

— هل هذا كل شىء ؟

— نعم .

— إذن ... هل أنا المسئولة عما حدث ؟

فقال فى تهكم — كلا ... إنه صبى الجزار !

ثم انفجر ضاحكا . كم كان جوابه مضحكا ! وسرعان ما تلاشى ضحكه عند ما قالت — ما ذا يهمك إذا كنت أتعذب ؟

فأجاب — ليس هناك ما يحملنى أهتم ... فتنهدت وتمتمت قائلة — إنى أعرف ذلك ...

وران عليهما الصمت . هدوء مستمر . كان قد نسى تماماً أنهما لا يزالان على الدرج ، وأنه يشعر بالجوع وأنها لم تستحم بعد ... نعم ، لقد استسلمت نفسه مرة أخرى إلى سحر المشاجرة وسقط فى الشرك طواعية . وأنشأ يتحدث ويشرح لها كم هو تمس ، وبصف لها لواعج قلبه . وود لو استطاع أن يقنعها .

— ألا ترن ؟ ... إنها لغباوة أن يحدث ما حدث ... وكم هو مضيعة للوقت ! ألا تكفى مشاكل الحياة المعقدة ؟ .. إذن .. لماذا ؟ لماذا ؟ ... خبرينى ؟

ووضع يده على كتفها وجذبها إليه قائلا — هل انتهينا من الشجار ؟

فوضعت خدها على خده وأخذت تبكى .

— كفى ... كفى لا تبكى . لقد انتهى النزاع .

إن هذا الهدوء والحنان ، وذلك الحديث عن الحب ، هو كل ما توده منه . لقد نسيت تماماً كل شىء عداها . وقالت — هنرى ... قربت على خدها قائلا — هيا نصعد ... لماذا نظل واقفين هنا ؟

فتبمته وهى تقول — أليس من الأفضل أن نستحضر الطفلة ؟

— دعيها ... من الأفضل تركها حيث هى الآن .

***

كانت الشقة على حالها منذ الصباح دون نظام أو ترتيب ، ولم تزل النوافذ مغلقة ، وروائح الليل تفوح فى الشقة المظلمة . وخلع قبعته وظل ممسكا بها لحظة ، وتملكته الحيرة ... أين يضعها ؟ وأخيراً ألقى بها والمظلة على مقعد . ثم وهو يراقبها تتوسط الغرفة وقد تدلى ذراعاها « حسن ... حسن ... ماذا ؟ » .

وعبثت عبوسة صبيانها ، كأنها على وشك البكاء مرة أخرى . ومرت بيدها على جبينها .

— لقد أصابك الصداع !

— نعم ، إنه مؤلم .

— ألم تنته بعد ؟

فبكت من قلبها وهى تقول — أواه ... نعم .

وأخذها بين ذراعيه وضمها إليه فى حنان . كان يود أن يظل ساكناً دون أن يفوه بكلمة . ولكنه أنشأ يتكلم مدفوعاً بنزوة لا تقاوم . فقال فى حنان — لماذا تفعلين ذلك ... لماذا ...

فقال — وأنت ؟

— أنا ؟ !

— نحن اثنان ... فإذا كانت هذه الهفوات من جانب واحد فقط .

— ولكنها ليست غلطة أحد منا ذلك هو السبب .

— السبب فى وجود الشجار ؟

— نعم ، ربما .

— على أية حال ، لقد انتهى الغضب .

فقالت فى لهفة : أوه ... نعم .

— أتستطيعين أن تذكرى ما الذى دار عليه الشجار هذا الصباح ؟ إنى لا أستطيع أن أتذكر . إنه لم يكن إلا كلمات ، كلمات تافهة . لقد نسيتها تماما ... تكفى مشاكل العالم المقبلة .

لقد كانت تعرف طريقته فى الجدال فقالت :

— لننس ما حدث !

وتراخت أذرعتهما ، وابتعد عنها . ثم تهالك جالساً على مقعد وقال وقد ابتدأ يعود إليه غيظه .

— انك امرأة لطيفة ... ألم تقرأى صحف الصباح ؟

يا له من سؤال ! لكأنها تهتم دائما بالصحف !

واستطرد يقول : بالطبع هناك مشاكل . إنى أقول الحقيقة .

— أعرف ذلك ...

فانفجر قائلا : حسن ، إذا كنت تعرفين ذلك جيدا ، فما الذى تعنيه من ... من مكوثك بهذا الشكل بالمدرج تبكين على شىء لا يعلمه إلا الله ... ؟

— أوه ... اصمت .

ولكنه كان قد صمت قبل أن تتكلم ، وجعل يفكر فى كل ذلك وهو يتأملها . لقد كرهها ... حقا لقد كرهها . وأصبح يعافها ويشمئز من تهديداتها .

وسألها وهو يخرج ساعته من جيبه : ما الذى سنأكله ؟

ثم هز رأسه قائلا :

— لقد تأخر بنا الوقت .

فقالت : أستطيع تحضير بعض البيض والخضر أيكفى ذلك ؟

— نعم .

واختفت فى المطبخ ، وتمدد هو على الفراش ينتظر . ما الذى قاله لها هذا الصباح حتى أثارها وجعلها على تلك الحالة ؟ وجعل يفكر ويفكر دون أن يتذكر . وسمعها تقوم باعداد الطعام بالمطبخ فناداها : مارسيل .

فأجابت وقد توقفت لحظة عن عملها : نعم .

— ما الذى قلته هذا الصباح حتى ... ؟

ولم تفه لحظة ثم قالت : لا شىء .

— بل هناك أشياء ... خبرينى !

— كلا ... وما الفائدة ؟

— فقال كنت أرغب ...

فقاطعته قائلة : ألا يستحسن عدم التحدث عن ذلك ؟

ولكنه ظل منتظراً . لماذا لا تريد أن تخبره ؟ وشعر بحب استطلاع غريب يدفعه عدم تذكره ما حدث .

— ألا تتذكرين يا مارسيل ؟

— أجل !

— حسن . إذن خبرينى !

— لماذا ! إنه من الغباء أن نعود إلى ترديد هذه النغمة ثانية .

وأدرك أنها لن تخبره أبداً ، فتمتم قائلا : حسن على أية حال . نعم ، على أية حال ... من الأفضل ألا يتذكر . فهو مرتاح إلى .. إلى هذه المعيشة ! !

محمد فتحى عبد الوهاب